(سِيديَّ) ولد آدب

رمز الفتى الكنتي فارس المدفع والقلم

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
- التراث الكنتي البوسيفي -
(أدبيات أهل آدب) - (3)

- **الكتاب:**
  (سيدي) ولد آدب
  رمز الفتى الكنتي فارس المدفع والقلم
- **المؤلف:**
  أدي ولد آدب

- **عدد الصفحات:** 112 صفحة
- **مقاس:** 16×24 سنتم
- **الطبعة الأولى:** مراكش 1442هـ/ 2020م
- **الكلمات المفاتيح:** التراث الكنتي، أدبيات أهل آدب، تراجم، نصوص شعرية
- **الحقل المعرفي:** الآداب/ / الأدب الموريتاني/ تراجم
- **ديوي:** 800

رقم الإيداع القانوني: 2020 MO 4424
الرقم الدولي: 978 – 9954 – 618 – 86 – 8

جميع الحقوق محفوظة © 2020- المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
4/ 483 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب
(212) 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email: afaqedit@gmail.com

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق - مراكش – المغرب
الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال.

سلسلة التراث الكنتي البوسيفي

(أدبيات أهل آدب)

(3)

(سِيديَّ) ولد آدب

رمز الفتى الكنتي فارس المدفع والقلم

أدي ولد آدب

إهداء

1- استعارة

..... إلى سَيِّدي: "سِيدِيَّ" والدي الأحْنى
ثِمَالِ اليَتَامَى، بهْجَةِ العَصْرِ، نُورِهِ وطَلَّاعِ تَلِّ المَجْدِ، وهْوَ لهُ مَغْنَى
وشَافِي مُرِيدٍ مِنْ مَرِيدٍ بنظْرةِ ومَرْمَى عِصِيِّ الوفْدِ الأقْصى، أوِ الأدْنى
مُزيلِ عَمَايَاتٍ منَ الجَهْلِ، قد طغَتْ وفرَّاجُ أزْمَاتٍ، إذَا القوْمُ قد أسْنَى

كما قال فيك شقيقك الشيخ أحمد بن آدب

2- استلهام

ونحْنُ بحورُ العِلْمِ، قِدْما، وكلَّنا -لدَى الحَرْبِ- كاللَّيْثِ الهِزَبْرِ، أبِي الأجْر

هنا أعطيتني عنوان كتابي هذا عنك.

الفهرست

إهداء 7

أولا: مدخل: رمز الفتي الكنتي 13

ثانيا: بطاقة الهوية..... 17

1- الاسم: ملتقى البحرين 17

2- تكوينه: بين الكسب والوهب..... 18

3- ثَوْرِيَّتُه: ضد التكلُّف في التفَقُّه والتَّصَوُّف 24

4- سيادته: بين الزعامة والعمامة..... 26

5- فروسيته: بطولة البيان، والسنان 31

6- شاعريته: جدل النسب والأدب..... 35

ثالثا: الديوان 43

1- رائيته في الفخر والحماسة..... 43

2 - رائيته "الأنوارية"..... 44

3- تخميسه لقصيدة والده عبد القادر(آدب) بن سيد الأمين 47

4- قصيدته في زيارته ضريح سيد مُحمد الكنتي الكبير 48

5- مشاعرة بين سيدي وأخيه الشيخ أحمد بن آدب..... 49

6- مشاعرة بينه وبين سيد أعمر بن الشيخ سيد محمد 50

7- هذه القصيدة لم نجدها في مخطوطاتنا منسوبة لغير سيدي بن آدب 53

8- قصيدة في أحد مُنْتَحِلي صِفَة "المهدوية" 57

رابعا: سيدي ولد آدب: الرسائل، والفتاوي، والأحكام..... 59

1- فتح القهار في الرد على محمد لحوار (رسالة/ كتيب) 59

2- الدر المنظوم في نثر عقد المومنَ بنت ازهيو لخطري بن العلوم (فتوى)..... 83

3- رسالة اعتذارية إلى الشيخ سيدي باب 94

4- رسالة أولاد بوسيف/ الخضر إلى الشيخ عبد الجليل بن الشيخ المصطفى بن العربي..... 96

5- حكم قضائي بفسخ مغرم كان للأمير بكار بن اسويد احمد..... 98

6- أحكام قضائية أخرى..... 100

(أمَّا أنا فليس الخبَرُ كالعيان، وليس الصادق كمن حدَّثَ ببُهْتان، فقد شاهدتَ مَواردَ أمْري ومَصادِره، وذلك أنِّي نشأتُ زمَنَ الصُّبُوَّة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجَعَلَ والدُنا- رضي الله عنه- يسوسني بسياسةٍ عجيبةٍ... حتى أطْلَعَني الله منْ فضْلِه عليْه، وقصَرْتُ هِمَّتِي على الشوْق إلى ما لدَيْهِ من عِلْم، فوصلتُ إلى ما إليْه من فضْل الله وَصَلْت، ممَّا لا أنْكِرُه امْتثالا لأمْر الله... ولا أذْكُرُه بيْن يديْ من قلَّدَ هواه، وتولَّاه:

"فظُنَّ خيْرا ولا تسْألْ عنِ الخَبَرِ")

سيدي بن آدب يخاطب أخاه محمد الحوار،

في رسالته إليه: "فتح القهار".

أولا

مدخل
رمز الفتى الكنتي

سبق أن قلت- في الكتاب الثاني من هذه السلسلة: "إنَّ وصْفَ **"التكَنْتِي"**، الذي وُسِمَ به هؤلاءِ القوْم، قد **انتقل**- عبْر التاريخ- **من النسبة العرقية** "الكنتية" التي أخذها سيد محمد **الكنتي** الجد الأعلى للقبيلة من أمه، **إلى النسبة الأخلاقية** البحتة، حيث كان - في أصْل إطْلاقِه- يَخْتَزل مَنْظُومَةً من القِيم الفضيلة النبيلة.. تُرَادِفُ" **اسْتَفْتِي**" باللهْجَة الحسَّانية، أو **"التَّفَتِّي"** الذي هو **"الفُتُوَّة"** بالفُصْحَى[1]، التي تشتمل: العلم، والحلم، والشجاعة، والعزة، والأريحية، واللوذعية الأدبية في الشعر والنثر، لكنَّ **"الكرَمَ**/ السخاءَ" كانَ **أبْرزَ** تلك المَنْظُومَةِ الأخلاقية، **وألْصَقَها بروح "التكَنْتِي" و"التَّفَتِّي"** مَفْهومًا ومُصْطَلَحًا، وهُوِيةً وذِهْنِيةً، والعجيب أن معاجم اللغة العربية غلَّبَت السخاء والكرم في منظومة قيم **"التفَتِّي"**، كما هو حالها في **"التَّكَنْتِي"**؛ ففي **الصحاح**: **والفتى**: **"السخي** الكريمُ. يقال: هو فَتًى بيِّن الفتوّةِ. وقد **تَفَتَّى** وتَفاتى"، بل إن صاحب **تاج العروس** تجاوز إلى المعنى الأخلاقي العُرْفي **"للفُتُوَّةُ"**؛ فهي "**فِي عُرْفِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ** أَنْ يُؤْثِرَ الخَلْقَ على نفْسِه بالدُّنْيا والآخِرَةِ.

[1]- جاء في: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: [التفتي]: تفتّى: من الفتوة.

وصاحِبُ الفُتُوَّة، يقالُ لَهُ: **الفَتَى**، وَمِنْه: **"لَا فَتَى إلاّ عليّ"**؛ وقولُ الشاعِر:

فـإنّ فَتـى الفتيـان مـن رَاحَ واغْتَـدَى لـــضرّ عـــدوّ أَو لنَفْـــعِ صَـــدِيقِ

وعُبِّرَ عَنْهَا فِي **الشَّريعةِ بمكارِمِ الأخْلاقِ**، وَلِم يَجِئْ لَفْظُ الفُتُوَّة فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإنّما جاءَ فِي كَلامِ السَّلَفِ، وأَقْدَمُ مَنْ تكلَّمَ فِيهَا جَعْفَرُ الصّادِق، ثمَّ الفضيلُ، ثمَّ الإمامُ أَحمدُ، وسهل، والجُنَيدُ، وَهُم فِي التَّعْبيرِ عَنْهَا أَلْفاظٌ مُخْتَلفَةٌ والمآلُ واحِدٌ".

وبعد هذا المقتبس التأصيلي "للفتوة" لغة وعُرْفا، نتلمس الخيط الواصل بين **التكنتي والتفتي**، الذين **جعلتُهما وجهين لعملة أخلاقية واحدة**، في تمهيدي لأطروحة **"المقاومة الأخلاقية"**، التي أقاربها في **"أدبيات أهل آدب"**، وهنا نجد أن **الجد الثاني** لقبيلة كنتة الذي انبثقت منه فروعها، ربط بين هذين المفهومين، عندما سأله أبناؤه ذات مرة عن نسبهم المرفوع إلى فاتح إفريقية العظيم: **عقبة بن نافع** الفهْري **القرشي**، فاسْتَمْهَلَهمْ حتى الصباح، وعندما راجعوه في الموعد: فاجأهم: **بقصعة ولوح**: وقال لهم: هذه **أمُّكم**، وهذا **أبوكم**.... موجها إياهم إلى **النَّسَب القِيمِيِّ** الخُلقيِّ، الذي يرجع للشَّخْص الفضلُ في كسْبه، صارفا نظرَهم عن **النسَّبِ الطِينِيِّ**، الذي يشتركُه بنو آدم جميعا، وليس من كسْب وارثِه من أبويه، ويصعب تحقيقه والتحقق منه[1].

وهنا يجدر بالتنبيه أن تراتبيةَ القيم- في هرم منظومة الفتوة- مُتَغَيِّرَةٌ من عصر، إلى عصر، ومن مجتمع إلى آخر، فقد يَتَرَبَّعُ على قِمَّتَها الكرَمُ هنا، ويترَبَّعُ على قِمَّتِها العِلْمُ هناك، وتَتَرَبَّعُ على قِمَّتِها الشجاعةُ هنالك، وهكذا دواليك.

ونحن نعتبر أن هيْمَنةَ قِيمة الكرم، في "الفُتُوَّةِ الكُنْتِيَّة"، لا تحط كثيرا من موْقِعَي المعرفة والشجاعة/ القلم، والمدفع،/ الكتاب، والركاب... فهاتان

[1]- أدي ولد آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، سلسلة التراث الكنتي البوسيفي (أدبيات أهل آدب) (2)، ط 1، 2020م، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش المغرب.

القِيمَتان تعتبران - أيضا- وجهيْن لعُمْلة واحدة، تسمىٰ: "التكنتي"، حيث يقتضي جوهر الانتماء لقبيلة "كنته"- من بين منظومة قيَمِها- أن يتمَوْقع المنتسب لها في "المنزلة بين المنزلتيْن"، بين صفة الزوايا/ الطلبة ذوي الكتاب، المتسِّضْعَفِين، الخانعينَ، وبيْن "العرب" / ذوي الركاب، الصائلين المعتدين، لا إلىٰ هؤلاء، ولا إلىٰ هؤلاء، منطقة وسطىٰ؛ لا تقبل الضيْمَ والمَهانَةَ، ولا تُشَرِّعُ العدوان، والطغيان.

وهكذا كان **سيدي ولد آدب** خيْرَ مِثالٍ علىٰ تركِيبَةِ **"كِيمياء تلك الشخْصيةِ الكنْتية**؛ العجيبة؛ حيث يكتشف كلُّ من يتتبَّع بنيةَ شخصيتِه أنه بقدر ما كان كريما سخيا، كان قاضيا صارما، ومُفْتيا عالما، وشاعرا مُجَلِّيا، وكاتبا بارعا، ناطقا مبينا باسم شرع الله، وسيد "البيان والتبيين" باسم جماعته، لكن لفروسية اللسان وجها آخر، هو فروسية السنان، حيث يتحقق التوفيق بين جدلية **"الكتاب والركاب"**، إذ لكل مقام مقال، فهو **فارس المدفع**، يوم الحرْب، كما هو **فارس القلم** يوم الكتْب، ولهذا كان **صوت ضمير الجماعة الكنتية**، في الغرْب، علىٰ الأقل، حيث **تتلبَّسُ** الـ **"نحْن" أناه الفردي**، في مواقف الفخر والحماسة، **لا سيما في رائيته المشْهُورَة**، التي قالها بعيد سنة 1882، والتي يَعْتَبِرُ فيها "بَنِي الكُنْتِي" الفِهْرِيِّين- أصْلا- خير من يمشي علىٰ الأرض، وأن لهم "العِزّ، لا بالمال، والفخْر لا به، إذا صانَه الأرْذالُ للعِزّ، والفخْر"، وأنهم "بحُور العلم قدْما"، وكلهم "لدىٰ الحرْب، كالليْث الهِزَبْرِ، أبي الأجْر"؛ فهو "من مَعاشِرَ دَأْبُهُمْ -إذا وُتِرُوا- التشْميرَ، والأخْذَ بالثَّأْر"، مدافعهمْ:

إذا سَـــدَّدُوها فِي نُحُـــورِ عَـــدُوِّهِمْ أصابتْ فلمْ تُخْطِئَ لهمْ ثُغْـرَةَ النَّحْـر.

وهكذا كانَ **بعْضُ زعماء كنْتَة** يَعْتَبِرُون هذه القصيدة **نشيدَ الجَماعة**، الذي يُمَثِّلُ **صميمَ هُوِيتها** المُرَكَّبة، ويُلْزِمُونَ المُتألِّقينَ من شبابهم بحِفْظِها وتَمَثُّلِها لاكْتمال

فُتُوَّتِهم[1]، فرغم سَطْوَةِ الجَمَال والحُبِّ، في نفْسية الشاعِرِ العاشقِ، تبْقى لرُوحِ الفَارِسِ، خُطوطٌ حمْراء... تبْدأ عنْد حُدود قَدَاسَة الشرَف، والكرامة، وعلى ضوْء هذه الفلْسفة والرُّؤْية كانت المُقدّمَة الغزَلية مَدْخَلا مُوَفَّقا إلى الفخْر بالعشيرة، في بناء "مُعَلَّقَتِه" هذه.

[1]- كانت هذه القصيدة من عناصر الفتوة، مثلما كان ابن حزم الأندلسي يقول: "من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظرف". انظر: **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين الصفدي، المتوفى، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

ثانيـــا

بطاقة الهوية

1- الاسم: ملتقى البحرين

كان **سيدي (1855- 1895م** هو الابن البكر لعبد القادر **(آدب) (1820 - 1875م** بن سيد الأمين **(1237هـ-1822م)** بن مُحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفي، من أمه السعيدة بنت ألمين الجيد؛ سليلة بيت العلم والقضاء في أولاد بوسيف الخضر، فكان عصارة البيتين، وعِنْدَما رُزِقَ به **آدب** سمَّاه سيدي محمد علىٰ اسم عمه **محمد ويقي** شقيق (آدب)، ولقَّبَه: **"سِيدِيَّ"** تَيَمُّنًا باسْم شيخه الشيخ سِيدِيَّ، فكان هذا الفتىٰ **ملتقى البحرين**، حيث كان **الشيخ سيدي**، **ومحمد ويقي** بن سيد الأمين، نجميٌ مُريدِي أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بأزواد، و**"نبراسيِ الحضرة الميمونة"** هناك، كما وصفهما بذلك تلميذهما، وابن شيخيْهما: الشيخ سيدي البكاي بن الشيخ سيد محمد، بن الشيخ سيد المختار، الذي يعتبر الشيخ سيدي **"مُقْرِئَه"**، ومحمد ويقي **"مُذَاكِرَه"**[1]، ولكل شيء حظ من اسمه، كما يقال.

[1]- هارون بن الشيخ سيدي: كتاب **الأخبار** (المدون)، ج1، تحقيق ونشر: باب بن هارون، ط2، نواكشوط، 1999م، ص 143.

2- تكوينه: بين الكسب والوهب

لقد ارتبطت هذا الثنائية بأبيه (**آدب**)، خصوصا، حيث تميز عن بقية إخوته، وآله آباءً وأعماما، بعدم الرحلة في طلب العلم، رغم ما رزقه الله من المعرفة والعرفان، مما لم يُوجِفْ عليه من خيلٍ ولا ركاب، وهنا يسوقُ سيديَّ بن آدب - في حِجَاجه لأخيه محمد لحوار- مفهومه لحقيقة العالِم والعِلْم عموما، والعِلْم اللدنيّ خصوصا، وأسباب نيله؛ إذ (**ليس العالِمُ** منْ يَحْفَظُ، وإلا لَصَارَ جاهلا، **وإنَّما العالِمُ** الذي **يأخذُ علْمَه من ربِّه**، أيّ وقْتٍ شاءَ، بلا تَحْفيظٍ، ولا درْسٍ، وهذا هو **العالِم الرَّبّاني**، وإلى مِثْلِه الإشارةُ بقوْله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[1]، مَعَ أنَّ **كلَّ عِلْمٍ من لَدُنْهُ**، ولكنَّ **بعْضه بوسائطِ تعْليم الخَلْق**، ولا يُسمَّى ذلك عِلْمًا لدُنِّيًا، بل **العلْمُ اللَّدُنِيُّ** الذي **ينفتحُ من سِرِّ القلْب**، من غيْر سببٍ مَألوفٍ من خارج. وبالجُمْلَةِ، فالتَّقْوَى رَأْسًا، والعِلْمُ الناشِئُ عنْها، إنَّما يُنالانِ بظلْف النفْس عن شَهَواتِها ومَألُوفاتِها، مع الحَكَمَة عليْها، واتِّهامِها في مَنْهيَاتِها ومَأمُوراتِها، إذْ هي كما قيل: كالدابة التي تُرَاضُ، أمَا تَرَى أنَّك إنْ ضيَّقتَ عليها بالحَكَمَةِ والزمام والضرْب لانتْ؛ فانقادتْ إلى مُرادِك، ووجدتَ منْها السيْر الفسيحَ، وإذا تركتْها تتفسَّحُ في مَراتِعها، حتَّى سمِنتْ، ركضتْ بكَ، فألْقتكَ عن ظهْرها سالما، أوْ مَيتا، أوْ مَعْطوبًا؟).

وهنا يُلاحَظُ إلحاح **سيدي بن آدب** على **"فتح القهار"** و**"فتح الجليل"**، في عنواني رسالتين له، تأسيا- ربما- بالشيخ سيدي المختار في عنوان كتابه: "فتح الوهاب"، وهنا أيضا لا بد أن نشير إلى أن مفهوم هذا **"الفتح"** وهذا **"الوهب"**، يعني - مبدئيا- استمداد المعارف من الله، والاعتماد عليه، أولا وأخيرا، ولكنه لا يعني عدم التسبب مطلقا في كسب العلوم والمعارف، بقدر ما يعني أن **فتح الله**

[1]- **قرآن كريم**، سورة الكهف، الآية: 65.

ووهبه – إذا تحقق– تتنزل البركات في الفهم، والعلم، فيكون الطالب يكتسب المعارف الكثيرة بمجهود أقل مما يبذله غيره من طلاب العلوم الكادِّينَ، الجادِّين، وقد حاول كل من **آدب** وابنه **سيدي أن** يؤصلا ذلك بالآية القرآنية القائلة بأن من يتقي الله يعلمه، وبالحديث النبوي المؤكِّد أن العمل بما عُلِمَ، يورث علم مالم يُعلم، فآثار **آدب، وسيدي** تنضح بمعارفهم الضافية في القرآن، والحديث، والفقه، وأصوله....، وبقدراتهم البيانية العالية في بقايا أدبياتهم الشعرية والنثرية

وبهذا يمكن أن نفهم – إذا تنكَّبنا عن التفسير الغيبي– أن الأمر يمكن –أيضا– أنْ يُدْرجَ في سِياق حدَّة الذكاء، وصفاء البصيرة، اللذين يجعلان صاحبهما يعلم الكثير بتعلُّم القليل، ولذلك أمثلة في تاريخنا، حيث كان المتنبي مثلا ظاهرة في سعة معارفه الأدبية، "ينام ملء جفونـ(ه) عن شواردها"، رغم عدم ذكر مكابدة مشهودة له في التعلم، وكذلك كان ابن شهيد في الأندلس يوصف بأنه يُوَلِّد معلومات كثيرة بأقل نظر، وأدنى مجهود، أما التفسير الغيبي للدُنِّيَّةِ العِلْم فقد رأينا "**آدب**" نفسه، يؤسسها على أصلين من القرآن والسنة، وهذا ما يَسْتَحْضِرُهُ ابْنُه سيدي محمد "**سِيدِيَّ**" رِوَايَةً عنْ والِدِه، حينَ يَرُدُّ علَى أخِيهِ": محمد لحْوار"، عنْدما اسْتَأذَنَه في الرحْلة لطلَبِ العِلْمِ، فقال له، في تَضاعيفِ رِسالتِه الجَوابِية: "فتْح القهَّار في الرَّدِّ على محمد لحْوار":

(وأمَّا ما ذكرتَ من الْتزامنا الرحلة في طلَب العِلْم، خلَفا لسَلَفٍ، فلا نُطيلُ فيه، ولكن:

خـذْ مـا تـراهُ ودعْ شـيْئا سـمعْتَ بـه في طلْعَةِ البدْر ما يُغْنيـكَ عـن زُحَـلِ

إذْ قد أدْركْت والدَنا رضي الله عنه، فقد حدَّثَني – رضْوانُ الله عليْه – غَيْرَ ما مرَّة – وأنتَ شاهدٌ – أنَّه نَشأ فيما ينْشأ فيه مِثْلُه من أطفال أهْل الحرْب، من مُعاناةِ المَعِيشةِ وكدِّ العِيال، في شظَفِ العيْش، وشُغْلِ البَال، مُوَافَقَةَ مَسِيرِ إخْوَتِه طَلَبَةً، فمَا زالَ كذلك حتى بَلَغَ، وهو على تلك الحالة، لم يكتسبْ عِلْمًا، ولمْ

يُطالعُ... قال: بلغت مبلغ الرجال، وليس لي إلا التمسك بآية: "واتقوا الله ويعلمكم الله"، واعتماد حديث: "من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثهُ الله عِلْمَ ما لمْ يعلم"، مع علو الهمة، ونفوذ العزْمة...، وقال رضي الله عنه وأرْضاه، وجَعَلَ نصيبَنا منه أوْفرَ نصيب وأوْفاه،: وذلك من صدق التوجه، مع العمل بمقتضىٰ العلم، كائنا ما كان، كما قيل:

لكـــنَّ سِرَّ الله في صـــدْق الطلـــبْ كمْ رِيء في أصْـحابه مَـن العَجَـبْ!

وقال: فلمَّا توفيتْ الوالدةُ – رحمها الله– أعملتُ الرِّحْلة إلىٰ الشيْخ الكامل: الشيخ سيدي، ما شاء الله، فأجازني، وشيَّعني إلىٰ الأهْل).

وهكذا كانت رِحْلَته القصيرة إلىٰ حضْرَةِ الشيْخ سيدي هي رحلته الوحيدة في طلب المعرفة والعرفان، التي تكللت بإجازته، 1265هـ، (**في الأوراد القادرية، والأحزاب والتوجيهات المحمدية والمختارية، أخذا وعطاءً، وروايةً وإرْواءً، بالشرْط المَألوف، والسَّنَنِ المَعْروف خَلَفًا عن سَلَفٍ**...

ثم يعقِّبُ الشيخ سيدي (**وأجزتُه أيْضا فِيما تحَصَّلَتْ وتتحصَّل فيه أهْلِيَّتُه من العلوم الشرْعية؛ أصُولِها، وفرُوعِها، ومَقاصِدِها، ووسائِلِها، على نحْوِ مَا أذِنَ لِي وأجازَنِي فيهَا شيْخُنا الخليفةُ سيدي مُحمد**...".

ونظرا لأنَّ مثْلَ هذه الإجازاتِ لمْ يكنْ المَشايخُ العُلماءُ الأتْقياءُ يمْنحونَها جُزافا، كما تُمْنَحُ اليوْمَ الشَّهَادَاتُ العُليا، فقدْ أوْضَحَ **الشيخُ سيديَّ** المُرْتَكَزَاتِ التي أسَّسَ عليْها حُكْمَه بالأهْلِيَّةِ المُزْدَوجَةِ للمُرِيدِ المُجَازِ في المَعَارِفِ الصُّوفية، والعُلوم الشرْعِية مُطلقا:

"وإنَّما أذنتُ له وأجزْتُ له؛ لِمَا لاحَ لِي فيه من لَوائحِ الصلاحِية للتقْديم، ولِمَا شمَمْتُ فيه من روائحِ الخُصوصية المُمْزُوجَةِ بالصِّدْق والتسْلِيم".

وهكذا قلد "**سِيدِيَّ**" والده وشيخه الوحيد: "**آدب**"، في الاعتقاد بجدوائية العلم اللدني/ الوهْبي، أكثر من العلم الكسْبي، متبعا إياه في عدم الرحلة الخارجية للدراسة، والاكتفاء الذاتي بقاعدتي: الآية الكريمة، والأثر النبوي، السابقين، مستثمرا في نتائج العمل بهما، مع اعتبار شرط التقوىٰ، والصفاء الروحي، وصدق الإيمان، إضافة إلىٰ رضى الوالدين، ففي إطار ردِّه الآنف الذكر علىٰ أخيه **محمد لحوار**، الراغب في الرحلة طلبا للعلم، يحاول ثنْيَه عن ذلك بضرْب المثل له بوالدهم (**آدبَّ**)، ثم بتقديم نفسه له مثلا آخر، يمكن أن يعتدَّ به، فيقول: (أما أنا فليس الخبَرُ كالعيان، وليس الصادق كمن حدَّثَ ببُهْتان، فقد شاهدتَ مَواردَ أمْري ومَصادِره، وذلك أنِّي نشأتُ زمَنَ الصُّبُوَّة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجَعَلَ والدُنا رضي الله عنه يسوسني بسياسةٍ عجيبةٍ، ويَعِدُنِي بالمُساعدة علىٰ ذلك، وينْشُرُ لِي أحْوَالَ طَلَبَةِ العِلْم في جميع المَسالك، معَ اطِّرَاحِي بيْن يديْه،.... والعَمَلِ بمُقْتَضىٰ ما يشيرُ به ويَقْضِيه، حتىٰ أطْلَعَني الله منْ فضْلِه عليْه، وقصَرْتُ هِمَّتِي علىٰ الشوْق إلىٰ ما لدَيْهِ من عِلْم، فوصلتُ إلىٰ ما إليْه من فضْل الله وَصَلْت، ممَّا لا أنْكِرُه امْتثالا لأمْر الله،... ولا أذْكُرُه بيْن يديْ من قلَّدَ هواه، وتولَّاه، "فظُنَّ خيْرا ولا تسْألْ عنِ الخَبَرِ"[1]، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[2]، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[3]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[4]، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[5]...».

---

[1] – شطر بيت لابن المعتز.

[2] – **قرآن كريم**، سورة يونس، الآية: 58.

[3] – **قرآن كريم**، سورة الأحزاب، الآية: 62.

[4] – **قرآن كريم**، سورة فاطر، الآية: 43.

[5] – **قرآن كريم**، سورة النحل، الآية: 18.

ومهما يكن فإنَّ ما تدارَكنا من الآثار العلمية لسيدِيَّ بن آدب، شاهد على علو كعبه، في المعرفة والعرفان، وتمكنه من ناصية البلاغة والبيان، وتضلعه من مختلف العلوم الدينية، الظاهرة/ الفقه/ الشريعة، والباطنة/ الصوفية/ الحقيقة، وتمرسه بحيثيات صياغة الأحكام القضائية، وصناعة الفتوى... ويتجلى ذلك من خلال رسالته: فتح القهار في الرد على محمد الحوار"، التي تقع في حوالي عشر صفحات من الحجم الكبير، وجهها إلى أخيه هذا، حين استشاره في شأن الرحلة طلبا للعلم، في بعض "محاظر" البلاد.

ومن خلال فتواه المطولة بعنوان: "الدر المنظوم في نثر عقد المومنة بنت الزهيو لخطري ولد المعلوم"، إضافة لرسائل أخرى، وفتاوى فقهية، وأحكام قضائية متعددة، تدل كلها على مكانته العلمية، وتَنْصِيبِه للقضاء والإفتاء؛ باعتباره مرجعا فقهيا تنتهي إليه منازعات القبيلة وأحوازها، حيث يؤسس في "الدر المنظوم" فتواه فقهيا بقوله: (وبختمه مَتَمّ هذا **الدر المنظوم في نثر عقد المومنـ(ـة) بنت ازهيو لخطرى بن المعلوم** مبنيا على الآي الْمُحْكَمَة المستعملـ.... أَهْل السُّنَّة الْمُتَقَدِّمَة، ثم على الأحاديث الصِّحَاح الْمُسْنَدَةِ، ثُمَّ على أمَّهاتِ كُتُبِ المَذْهَبِ الْمُعْتَمَدَةِ).

ثم يختمها بقوله:

(وإنَّما جَلَبْتُ في هذا المَجال ما جلبْتُ، وإنْ كانَ فيه ما ليس من عيْن المَسألة، لكوْن الحديث شُجونا؛ يجرُّ بعْضُه بعضا، ولِمَا بَلغَنِي من الاعتراض على حُكْمِي المذكور ببعض الفتاوى، ولِئلَّا يُوقَعَ فيه دون توَفُّرِ شرْطٍ مُوجِبٍ نقضَه؛ لأنِّي – والذى يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وبيَدِه العَوْدُ والإنْشاءُ – مَا نَطَقْتُ بِبُهْتان، ولا أخْبَرْتُ إلَّا عنْ عيان، وعلى الله التكْلان، ولم أحْكُمْ إلا بما عليْه عمَلُ الحُكَّام، ولا غرَضَ لي إلا ظُهور الحقِّ والسلام.

وكتبه، حاكما بمضمونِه، بعْد التراضي والتحْكيم، ومُراعاةِ المَشْروع في التخْصيصِ والتعْميم، مُسَلِّما على مَنْ عَرَفَ الحقَّ فسَلَّمَه، ومُتَبَرِّئًا مُتَبَرِّمًا مِمَّنْ عَرَفَهُ وكَتَمَه:

فقيرُ مولاه، وأسيرُ هواه: **سيد محمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفي**، عامَلَنَا الله- والمسلمين- بلُطْفِهِ الخفي، آمين).

وهنا نجده حَكَمًا مرْكَزِيًّا يُبْرِمُ ويَنْقُضُ، العقودَ بيْنَ الجميع، ويرْتضِيه أهْلُ العَقْدِ والحَلِّ:

(أما بعد، فليعلمْ ناظرُه، ممنْ غابَ عنْهُ أوْ كانَ حاضرَه، أنَّ ما كانَ لبكَّار بن اسويد احمد على صنْبَ بن حامدين من الوَظِيفَةِ المَغْرَمِيَّةِ انْقَطَعَ انْقِطَاعًا كليا، وانْحَسَمَتْ مَوَادُّه انْحِساما سرْمَدِيا، على قطْعَةٍ من الإبِلِ أخَذَهَا بَكَّار المَذْكُورُ من صنْبَ المَذْكُور أخْذا حِسِّيا، وبانَ بها راضيا الفِدَاءَ "والفَسْخَ(ـة)"[1]، بحيث لمْ تبْقَ عليْهِ لهُ، ولا لمنْ يُدْلِي إليْه دَعْوَى تُسْمَع، إذ لا حُجَّةَ شرْعا ولا عادةً تنْفَع، ووقعَ هذا من بَكَّار، في حالِ الطوْع ورُشْدٍ وشُحٍّ، بحضْرةِ جمْعٍ كثيرٍ؛ منْه: الشيخ بن عمَّار، ومحمد بن الشيْن، وجماعتُهما، والمُختار بن.... وإخْوتُه، والمختار بن ابْلال، ومنَ الرّوايا: الشيخ بن الفغَ أوْبك بن عقبة، واعْلِ بنْ محمد لَعْلِ، وعبد الرحمن بن حبيب الله بن أحمد مَزيد، وسيد الأمين بن حبيب الله، وغيرُ، وغيرُ، والكاتبُ: سيد محمد بن سَيِّدِهِ: عبد القادر بن سيد الأمين، كان الله لهما، آمين).

ومن أحكامه الصارمة أيضا:

(أما بعد فقد أتاني- أيها الكاتب- حمَّاد بن الطالب أوبْك، وأخْتُه فاطمة، مترافعيْن، في جمَلٍ بيَدِهَا هِي، ادَّعَى هو أنَّه اشْتَرَاه بهوْدَجٍ، وترَكَهُ عنْدَ بِنْتِه؛ زوْج ابن أخْتِه المذكورة مِنْحَة، وأنْكرتْ هيَ ذلك، وادَّعَتْ أنَّ الهوْدَجَ المَذْكورَ لها، وأنَّ

[1] – إحدى هدايا الزواج التقليدية في المجتمع الموريتاني.

أخاها المَذْكور أعْطَاهُ إيَّاهَا في الفسْخ، مُلْكًا تامًّا على العادَةِ، واشْتَرَتْ به الجَمَلَ المذْكورَ ابْنَ لَبُونٍ، وتمَّ بيَدِها لم يَنْبسْ فيه حمَّاد بكلِمَةٍ، إلى الآنَ، بعْد بُزُولِه، فكَلَّفْتُه بالبَيِّنَةِ على دعْواه لتمَسُّكِها هي بالأصْل وإنْكارِها، فعَجَزَ عنْها، فحَلَّفْتُهَا هي في المصْحَفِ على دعْواها، وحكمْتُ لها بالجَمَلِ المَذْكور، بعْد إتْمَامِ الحُجَج، ومُراعاةِ ما يُرَاعَى شرْعا في المَنْهَج، بحيث لم تبق لحمَّاد المذكور- على أخْتِه فاطمة المذكورة- دعْوَى تُسْمَع، إذ لا حُجَّة شرْعا تَنْفَع.

وكتَبَه، حاكمًا به- بعد تحْكِيمِهما إيَّاه، ومُراعاةِ المَشروع بيْنهما-: فقيرُ موْلاه، وأسيرُ هواهُ: سيد محمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفى، أمننا الله والمسلمين بلُطْفِه الخَفِي).

3- ثوْرِيَّتُه: ضد التكلُّف في التفَقُّه والتَّصَوُّف

لقد كان موْقفُ "سيدِيَّ ولد آدبَّ" صارمًا، تُجَاهَ دَجَاجِلَةِ عصْرِه، سواء عنده من تسلَّلُوا إلى هذا المَجَال، من الفُقَهَاءِ والصُّوفِيِّينَ معًا، حيث نحَتَ لهُمَا اسمين من اختصاصهما، يوحيان في بنيتهما الصرفية بالتكلف والدعوى، فهؤلاء **"مُتَفَقِّهَة"**، وهؤلاء **"مُتَصَوِّفَة"**، وكلاهما - في نظره- **"مُتَفَعِّلٌ"**، وليس **مُنْفعلا**، بمجال معارفه، وضمن ذلك يكمن الفرق، بين الحق، والباطل، هنا، وهناك، وهو لا ينخدع بأي من الصنفيْن، ولا يوقِّرُ أيا منهما، ولا يريد لشقيقه: محمد الحْوار- ولا لغيره- أن ينخدع، **بثياب الضأن**، فوق **قلوب الذئاب**، حين يقتبس لهم هذا الوصف القديم، قائلا:

(فانْظرْ- أَلْهَمَكَ اللهُ الصواب، ووقاكَ مُوجِبَ الحَيْرَةِ والارْتِيابِ - مَن تَتَعَلَّقُ به، وتعملُ الرِّحْلة إليه، مع أنِّي لم أطَّلِعْ- فيما بلغْتُ من البلاد، أو أخْبِرْتُ عنْه- عليه، إذْ المَطْلوبُ من العِلْمِ العَمَلُ؛ ولذلك حَدُّوا الصُّوفِيَّ- الذي هو أعْلَى

رُتْبَةً منَ الفقيه- بأنّه عالِمٌ عمِلَ بعِلْمِهِ، على وجْه الإخْلاص، لا غيْر، وغايةُ ما يَطْلبُه القوْمُ من تلامذتهمْ- بالمُجاهدَة بالصوْم والسهَرِ والخلْوَة والصَّمْت والورَع والزهْد، وغير ذلك من أنواع الرياضة- أنْ يصيرَ أحَدُهُمْ يأتِي العِبادَةَ على الوجْهِ الذِي يُشْبِهُ ما كانَ عليْه سَلَفُهُمْ الصَّالِحُ، لا غيْر، ومِنْ ثَمَّ وُصِفَ العِلْمُ النافعُ بأنَّه الذِي يَنْبَسِطُ في الصَّدْرِ شُعَاعُه، ويُنْكشِفُ بِهِ عن القلْب قِنَاعُه.....).

ثم يُعْلنُ لأخِيه، مَنْهَجِيَّته الصارمة، في تَناوُله، لكل من "**المُتَفَقِّهَةِ**"، و"**المُتَصَوِّفَةِ**"، كما يُسَمِّيهُما، ذاكرا أنه هنا في ردِّه هذا يُخصِّصُ رسالتَه: "فتْح القهار"، لكشف حقيقة الطائفة الأولى، كما يراها من منظوره، لأنها هي مَنَاطُ اهتمام **محمد لحوار**، وإليها يتجه مؤشر بوصلة رحْلته المرغوبة في طلب العلم، لكنه- في الوقت نفسه- يُحيله - ومن خلاله القُرَّاء كافة - على مصدر خارجي ألَّفَه- مَا زِلْنا نبْحث عنه- في الطائفة الثانية تخْصيصا، فيقول:

(وإنما جلبتُ لك ما جلبتُ في **مُتَفَقِّهَةِ** الزمَن، دون **مُتَصَوِّفَتِه**، حرصا على مطابقة مَكتُوبك ومُوافقتِه، مع أنّي أفردتُ فيهمْ تأليفا دعَوْتُه: "فتْح الجليل في الرَّدِ على الدجاجيل"؛ فلْيَطالعه من أرادَ الفرْق بيْن أرْباب الدعْوى، ومشايخ الحق أهْل التقْوى.

وقد جَمَحَ بنا جوادُ الفِكْر في هذا الميدان، حرْصا على بيَانِ شُبَهِ أهْل الزمان؛ لئلا يغتر بشعْوَذَتِهم الجاهل، ويتيه في غرور بهْرَجَتِهم الغافل، إذ لا يَنالُ التابعُ إلا حظ المتبوع، ولا يتصور من هؤلاء منتفع ولا منفوع، كيف وهم المنْعوتُون- همْ وأتْبَاعُهم- بقوْله صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُج في آخِر الزمان رِجالٌ يخْتلونَ الدُّنْيَا بالدِّين، يلبَسون جُلودَ الضأن من اللِّين، ألْسِنَتُهم أحْلى من العَسل، وقلوبُهم أمَرُّ من الحنْظل").

وتأسيسا على هذا تَصَدَّى لكل "أَرْبابِ الدَّعْوَى"، في زمنه، فكتب قصيدة في أحد منتحلي اسم "المهدي" وصفته؛ فقال:

لقد أكْحَلَ الأجْفـانَ.. منِّي.. بالسُّهْدِ ... وَهَيَّجَ أحْـــزانِي.. وأعْـدَمَنِي بـرْدِي
وتـيَّمَ قلْبـي.. عِنْـدمَا شـــاعَ هوْلُـه ... ضَلَالُ مُضِلٍّ.. يَدَّعِـــي أَنَّـهُ المَهْـدِي

4- سيادته: بين الزعامة والعمامة

لقد كان سيدي بن آدب، **سيد عائلته** – طبعا- بعد أبيه، جامعا بين **الزعامة** الدنيوية، و**العمامة** الدينية، وإذا التمسنا شاهدا على سيادة **سيدي بن آدب**، فهذا شاعر يمدحه، بمنظومة القيم الفاضلة، المؤهلة لتلك المكانة التي لا تنال إلا بالتضحيات الجسام، والأثمان الغالية، فيقول:

طـال بثِّـي مـنْ نـأي عَـزَّةَ عنَّـا ... ليْتَنِـي مِنْهـا نِلْـتُ مَـا أتمَنَّـى
كمَنَـالِ الحَاجَـاتِ عـافٍ تـوَخَّى ... وَجْـهَ سِـيدِيَّ فـوْقَ مَـا كـانَ ظنَّـا
ومَنـالِ الحـافِي بـه قـيْسَريًّا ... يرْتَعِـي مـن رياضِـهِ كـلَّ غَنَّـا
نجْـل آدبَّ مَـنْ حـوَى كـلَّ فخْـرٍ ... وعَـلَاءٍ، وسُـؤددٍ، قـدْ أبَنَّـا
بـتُراثٍ مـن سَـادَةٍ حـلَّ فـيهمْ ... مِـنْ قـديمٍ، وفـيهمُ قـد تَـأنَّى
هُـمْ لُيُـوثُ الحُـروبِ.. إذْ فَـرَّ أبْطـا ... لُ الـوَغَى، والجميـعُ بـالنفْسِ ضَـنَّا

وفيه أيضا يقول **محمد بن الحابوس**:

وقَامْـتْ مـنْ سَـمَاحتِه شُـهودٌ ... عـلى أنْ لا يُسـابَقُ في مَجَـالِ
يُعَـرِّضُ نفْسَـه عـنْهمْ مجَنًّـا ... يقـاسِي النائبـاتِ بكـلِّ مـالِ
سَـجاياهُ التَّعَـرُّضُ في الـدَّوَاهِي ... إذا فَـرَّ الكـريمُ مـن الرِّجَـالِ
تَظـنُّ الوافـدِينَ أمَـامَ بيْـتٍ ... رِفَـاقَ الحَـجِّ في زمَـنِ الهِـلالِ

يجـــودُ علـــيْهمُ بســـجالِ مـــالٍ تضـــنُّ بـــه اليمـــينُ عـــن الشـــمالِ
ولـــوْ خابـــتْ ظنـــونُ النـــاسِ فيـــهِ لَمَـــا هـــمَّ الوُفُـــودُ بِالانْتِقَـــالِ

وهذا أخوه: **الشيخ أحمد بن آدب**، يعترف له بالمشيختين، حيث يقول:

يَعُودُ السلامُ، الحافِلُ، الأوْفَرُ، الأسْنى إلَى سَيِّـدِي "سِيدِيَّ" وَالِدِي الأحْنى
ثِمَالِ اليَتَـــامَى.. بَهْجَـةُ عصْـــرِه، نـوره وطلَّاعُ تلِّ المَجْـدِ.. وهْـوَ لـه مَغْـنَى
وشَافِي مُرِيـــدٍ.. مِـنْ مَرِيـــدٍ.. بنظْـرة ومَرْمَى عِصِيِّ السيْر الأقْصَى أوِ الأدْنَى

كما أن **سيدي** يلقي- إلى **أخيه هذا** مباشرة، وإلى كل قارئيه إلى يوم الدين- **وِرْدَه الصوفي شعرا**، عبر **قصيدته** التي سُمِّيتْ - في أوْساطِنا المَحَلِّيَّةِ- باسْم "التربية"، لأنَّها **نجحتْ في تكْييف** فتوَّةِ الشاب، **وترْويض** نفْسه، وفق **قواعد السلوك، ومدارج السالكين**، حيث يقول له:

فرُضْها، وذُدْها عنْ هواهـا.. وزَكِّهـا ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَلْ مَـا بـه تُعْنَـى!
لأنَّ بظَلْـفِ الـنفْسِ.. عـن شـهواتِها يَنالُ الفَتى.. المَأمُولَ - فِي الله- والأَمْنا
ولا عِـــزَّ.. إلا بَعْـــدَ إِذْلَالَ مُهْجَـــةٍ ولا رَاحَةٌ- دُونَ العَنَا- ثَمْرُها.. يُجْنَى
فتلْكَ سَبـــيلُ الحق.. قامـتْ بقوْمِهـا ومَنْ لمْ يُقِـمْها.. لا يُقِـــيمُ لَـهُ وزْنـــا
وما حـــازَ قَصْـبَ السَّـبْقِ إلا مُشَـمِّرٌ قدَ آثرَ.. ما يبْـقَى.. على كل ما يَفْنَى
وأَلْقَى حُظوظَ الـنَّفسِ، ظِهْرِيـةً.. ولمْ يعرِّجْ على كـأسٍ.. سقتْه.. له.. وهْنا
وضـمَّرَ طِـرْفَ العـزْم، لمْ يـثْنِ طَرْفَـه إلَى غيْرِ مَطْلُوبٍ.. أمَامَ.. لَهَا اسْـتدْنى
وجَدّ سَبيلَ القَوْمِ.. لمْ يَـسْأَلُ.. قاطِعـا صَحَاصِحَها، والمَهْمَهَ القَفْرَ.. والـدَّهْنا
تلاشَـى.. لدَيْهِ الكوْنُ.. ينْحُو مكوِّنـا فقدْ هَجَرَ الأفْراحَ، واسْتَصْحَبَ الحُـزْنا
ولمْ يتَّخِـذْ - غـيْرَ المُهَـيْمِنِ- صـاحِبًا ولا دُونَ ما يخْشَى- سِوَى ذِكْرِهِ- حِصْنا
هنالكَ.. يَحْـظَى.. بالـذي هُـوَ آمِـلٌ ويَصْحَبُه التَّيْسِـــيرُ.. فِـــيمَا لـه عنَّـا

وتصْـحَبُه – منْـهُ– العِنَـايَةُ.. كائِنـا له– في المَرَامِ– العيْنَ.. واليَدَ.. والأَذْنا
وتُطْوَى لـه قُصْـوَى المَفَـاوِزِ.. مُلْقِيًـا عَصَا سَيْـرِهِ.. قد بُوِّئَ المَقْعَدَ الأَسْـنَى
على نحْوِ هذا، فانْحُ، إنْ كنْـتَ ناحِيًـا ولا تَرَ شأْنًا.. غيْرَ مَـا شَأْنُـــهُ شـأْنا
لتبلـغَ أقْصـــَى مـا تُريـدُ.. وتقْتَفـي ورَاثَةَ مَنْ أغْـنَى مُحِبَّيـهِ.. مَـنْ أقْـنى
عليْـه صَـلَاتِي.. مَحْـوَ ذنْـبٍ.. بتوْبَـةٍ ومَـا زهْزَهَتْ أرْوَاحُ شَـامِيةٍ غُصْـنَا

هذا إضافة إلى **وراثته لرمزية أهل سيد الأمين بن أحمد بن الطالب اعمر بن خيري**، داخل جماعة **أولاد بوسيف الخضر**، المفتخرين بنبزهم بـ"**الحراطين**"، وحتى داخل **المجتمع الكنتي** عموما، حيث نجد من خلال الآثار القليلة الباقية له، أنه كان **قلَمَ "البيان والتبْيين"** لدَى جَماعتِه، ولِسَانها الناطِقَ باسْمها، لكن دوره لم يكن يقتصر على وظيفة الكاتب المأمور، الذي يُسَجِّلُ مَا يُمْلَى عليْه، ففِي إحْدَى رسائله باسم الجماعة، يقول فيها: (**أما بعد** فالسلام التام... الشامل من جماعتنا "مَعْشر لحْراطين" عموما، وخصوصا: محمد ولد سيد الأمين، و**الكاتب**، وغيرهما، إلى أخينا الحبيب وحبيبنا القريب خاصتنا من كل خاصة وخلاصتنا من كل خلاصة...

وكتبه مُسَلِّمًا عليك بدْءً وعوْدا: سيد محمد بن سيِّدِه عبد القادر بن سيد الأمين بن مُحمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفي).

فهو هنا **يعبر باسم الجماعة، وباسم شيخها، وباسم نفسه**، باعتباره من **خاصة الخاصة**، لا سيما أن موضوع الرسالة شأن جماعي، فيه دفاع عن حق لأحد البوسيفيين يروْنَ أنه قد أهدرته جهة معتبرة، من رموز المجتمع الموريتاني روحيا وزمنيا، و**ينضاف** إلى ذلك أن **منصب الفتوى والقضاء** – الذي كان يتولَّاه– **منحه سلطة شرعية عليا فوق الجميع**، يجلس أمامها الزعماء والعظماء، ويرضخون لها، ولا يستنكفون، إذعانا لسلطة شرع الله، التي ظلت– في هذه البلاد السائبة– فوق كل السلط، وفي ذلك شهادة بقوة تديُّن أمراء العرب ذوي الشوكة، والبأس،

حيث قضىٰ سيدي -كما تقدم- بسقوط مغرم للأمير بكار بن اسويد أحمد، مقابل فدية، (أخذها أخذا حِسِّيًّا، وبانَ بها راضيا الفِدَاءَ والفَسْخَ، بحيث لمْ تبْقَ عليْهِ لهُ، ولا لمنْ يُدْلِي إليْه دَعْوَىٰ تُسْمَع، إذ لا حُجَّةَ شرْعا ولا عادةً تنْفَع، ووقعَ هذا من بَكَّار، في حال الطوْع ورُشْدٍ وشُحٍّ، بحضْرةِ جمْعٍ كثيرٍ".

وفي ختام حكمه بين أخت وأخيها مترافعين بين يديه، يقول أيضا:

(فكَلَّفْتُه بالبيِّنَةِ علىٰ دعْواه لتمَسُّكِها هي بالأصْل وإنْكارِها، فعَجَزَ عنْها، فحَلَّفْتُهَا هي في المصْحَفِ علىٰ دعْواها، وحكمْتُ لها بالجَمَلِ المَذْكور، بعْد إتْمام الحُجَج، ومُراعاةِ ما يُرَاعَىٰ شرْعا في المَنْهَج، بحيث لمْ تبق لحمَّاد المذكور- علىٰ أخْتِه فاطمة المذكورة- دعْوَىٰ تُسْمَع، إذ لا حُجَّة شرْعا تَنْفَع.

وكتبَه، حاكمًا به- بعد تحْكِيمِهما إيَّاه، ومُراعاةِ المَشروع بيْنهما-: فقيرُ موْلاه، وأسيرُ هواهُ: سيد محمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفىٰ، أمننا الله والمسلمين بلُطْفِه الخَفِي).

وهكذا كان **سيدي ولد آدب** خيْرَ مِثالٍ علىٰ ترْكِيبَةِ **"كِيمياء الشخْصيةِ الكنْتية** العجيبة"، حيث كان يعتبر **صوت ضمير الجماعة الكنتية**، في الغرب علىٰ الأقل، حيث **تتلبس** الـ **"نحن" أناه الفردي**، في مواقف الفخر والحماسة، **لا سيما في رائيته المشْهُورَة**، التي قالها بعيد سنة 1882، وكانَ **بعْضُ زعماء كنْتة** يَعْتَبِرُونها **نشيدَ الجَماعة**، الذي يُمَثِّلُ **صميمَ هُوِيتها** المُرَكَّبة، ويَلْزِمُونَ المُتألِّقينَ من شبابهم بحِفْظِها وتَمَثُّلِها لاكْتمال فُتُوَّتِهم[1]، فرغم سَطْوَةِ الجَمَال والحُبِّ، في نفْسية الشاعِرِ العاشقِ، تبْقي لرُوحِ الفَارِسِ، خُطوطٌ حمْراء... تبْدأ عنْد حُدود قَدَاسَة الشرَف، والكرامة، وعلىٰ ضوْء هذه الفلْسفة والرُّؤْية كانت المُقدّمَة الغزَلية مَدْخَلا مُوَفَّقا إلىٰ الفخْر بالعشيرة، حيث يتساءل مستغربا:

---

[1]- كانت هذه القصيدة من عناصر الفتوة، مثلما كان ابن حزم الأندلسي يقول: "من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظرف". انظر: صلاح الدين الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، 2000 م.

أَقَاتِلَتِي.. عمْدًا.. أُمَامَةُ.. بَاطِلا ... جِهَارًا.. كأَنِّي لسْتُ.. بالصَّاحِبِ البرِ؟
فقلْتُ لها: مهْلًا.. أُمَامَةُ، قَصِّرِي ... عنِ الفَتْكِ بي.. فِعْلَ السَّفاهَةِ.. وَالخُسْرِ
وإلَّا فَإنِّي مِنْ مَعَاشِرَ.. دأْبُهمْ ... - إذَا وُتِرُوا- التَّشْمِيرُ.. والأخْذُ بالثَّأْرِ
نَرَى الظفْرَ.. بالأعْدَاءِ.. نذْرًا.. وإنَّنَا ... - إذَا مَا نذَرْنا الأمْرَ- مُوفُونَ بالنذْرِ
ونحْنُ بنُو الكنْتيّ-لا فخْرَ- خيْرُ مَنْ ... - وَحَقِّ إلهِ العرْشِ- يمْشِي عَلَى العَفْرِ
كَرَامٌ.. نَمَتْنَا - من مَعَدٍّ- سَرَاتُهمْ ... إلى أنْ توَسَّطْنا الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ
عَزُيزُونَ.. أحْسَابًا.. ودِينًا.. لِعِزِّنَا ... تَذِلُّ نُخَاأهْلِ التَّخَمُّطِ، والكِبْرِ
لنا الناسُّ.. مُلِّكْنَاهُمُ منْ مَلِيكِهِمْ ... ونَحْنُ لهُ طوْع الأوَامِرِ، والزَّجْرِ
إذا مَا أرَدْنَا سَيِّدًا.. سَادَ سِرْبَه ... ولوْ لمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا ذِكْرُه يجْرِي

وحين يزور ضريح الجد الأعلى للقبيلة: سيد محمد الكنتي بجبل "فصك"، منطقة "تازيازت" في ولاية "انشيري" حاليا، يشكو إليه معاناة أبنائه جميعا، فيقول:

أنَخْتُ رِكَابًا، طَلَّحَتْهَا الصَّحَاصِحُ ... فصارتْ حَنَايَا كالقِسِيِّ طلائحُ
سَوَاهِمَ هَزْلَى دَأْبُهَا السَّيْرُ دِيمَةً ... تُقَرِّبُ مِ الطَّيِّاتِ مَا هُوَ نازِحُ
لدى السَّيِّدِ الكنْتِيِّ، أعْنِي: مُحَمَّدًا ... فَذاكَ الذي تُلْقَى لدَيْهِ المَدَائِحُ
قَصَدْنَا إليْه وافِدِينَ لحاجِنَا ... لِيَنْفَحَنَا مِنْ سَيْبِهِ الغَمْرِ نافِحُ
ويَرْأْبَ مَثْآنَا الإلهُ بِجَاهِهِ ... وتُجْلَبَ، بَعْدَ الثَّأَيِ، فِينا، المَصَالِحُ
ويَجْمَعَنَا مِنْ بَعْدِ بَيْنٍ فَكُلُّنَا ... عَلَى جِهَةٍ مِنْ لوْعَةِ البيْنِ نائحُ
ويُخْمِدَ جمْرًا في القُلوبِ مُؤجَّجًا ... فجمْرُ النوى والبيْنِ فِيهِنَّ قادِحُ
فهُبُّوا لَمَا قد نابَنا، غَوْثُ، إنَّنِي ... أتيْتكمُ مِمَّا بِنَا أنا صائحُ

وحين يُطَوِّحُ في رحلاته، إلى **المرجعية الروحية الكنتية**، حيث **حضرة أهل الشيخ** سيد المختار في إقليم **"أزواد"**، مترسما خطى عمه: **محمد ويقي** بن سيد

الأمين؛ أحد أكبر مريديهم هناك، يحمل معه **هَمَّ الجماعة**، وتحضر الـ "نحن" الكنتية، في خلاصة قصيدته المسمَّاة بـ "الأنوارية"، نسبة لأنوار الشيخ سيد المختار، أو لمدفنه "بولنوار"، فيقول:

ونَحْنُ معْشَرَ "كنْتَـهْ" لائـذُونَ بكُـمْ ومُسَـتَجِيرُونَ مِـنْ دَهْـرٍ بنَـا جَـارا
وقـدْ رَمَتْنَـا الأَعـادي عـنْ ضَـغائنِها ظُلْمًا، وقد أَنْشَـبُوا، في الحـيِّ، أظْفـارا
حَاشـاكمُ أنْ يُضـامَ جـارُ سـاحَتكمْ أوْ أنْ يُسامَ-أنَا - بالْخَسْـف-إخْفـارا

ومن خلال ملاحظة أسماء شهود مجلس حكمه وقضائه، تجد أنها لا تقتصر على أعيان، أولاد بوسيف الخضر، بل وحتى زعماء أولاد سيدي الوافي مثل الحامد بن أمينوه، في (جَمَاعة من المُسلمينَ منْها: محمد بن سيد بن الأمين، وأخوه سيد أحمد، وأحمد بن سيداتْ، وسيد بن.... وسيد بن أحمد عبد، ومحمد عبد الله ولد أحمد الجيد.... وسيد محمد بن المختار بن عبدي، وأبناء محمد المختار، وأبناء أحميدَ، والحامِد بن سيد أحمد).

كما تمَّ حُكْمُه بسُقوط مغرم كان للأمير بَكَّار بن اسويد احمد، مقابل فدية "بحضْرةِ جمْعٍ كثيرٍ" من أعيان العرب، والزوايا، وغيرهم؛ مثل: (الشيخ بن عمَّار، ومحمد بن الشيْن، وجماعتُها، والمُختار بن.... وإخْوتُه، والمختار بن ابْلال، ومنَ الزّوايا: الشيخ بن الفغَ أوْبك بن عقبة، واعْلِ بنْ محمد لَعْلِ، وعبد الرحمن بن حبيب الله بن أحمد مَزيد، وسيد الأمين بن حبيب الله).

5- فروسيته: بطولة البيان، والسنان

لقد رأينا سيدي ولد آدب، زعيما مجتمعيا، وشيخا روحيا، وقاضيا صارما، ومُفتيا عالما، وشاعرا مُجَلِّيا وكاتبا بارعا، ناطقا مبينا باسم شرع الله، وسيد "البيان والتبيين" باسم جماعته، لكن للفروسية اللسان وجها آخر، هو فروسية السنان، حيث يتحقق التوفيق بين جدلية "الكتاب والركاب"، إذ لكل مقام مقال.

وهو يرىٰ أن هذه الثنائية تعتبر وجهين لعملة واحدة، تسمىٰ: "التكنتي"، حيث يقتضي جوهر الانتماء لقبيلة "كنته"- من بين منظومة قيمها- أن يتمَوْقع المنتسب لها في "المنزلة بين المنزلتيْن"، بين صفة الزوايا/ الطلبة ذوي الكتاب، المتسِّضْعَفِين، الخانعينَ، وبيْن "العرب"/ ذوي الركاب، الصائلين المعتدين، لا إلىٰ هؤلاء، ولا إلىٰ هؤلاء؛ فهو في توديعه للحضرة الكنتية المُخْتارية، في أزواد، يصفهم بأنهم:

أزْكـي البَرِيَّـةِ أعْراقًـا.. وَأعْـدَلِهِمْ قَسْما.. وأفْضَلِ مَنْ صلَّى، وَمَنْ صاما
بـلى، وأجـودهمْ كفًّـا، وأقْـدَمِهِمْ في الحرْب.. والسِّلْم.. أسيافا.. وأقلاما

وقد استغل **سيدي بن أدب** نفسه هذه الازدواجية الكنتية أحيانا في إطار **بطولته في الحب والحرب** معا، فيصف صاحبته بأنها:

هيَ التي غادرتْ-بالشَّجْوِ- فِي خَلَدِي لمّا نـأتْ- لوْعَـةً- تُـذْكِي بـه النـارا
وصرْتُ-من بعْدِها- حيْرانَ، ذا جَزَعٍ حُزْنًا، وكنتُ- لدَى الهيْجاءِ- صبَّارا

وفي قصيدة أخرىٰ أكثر تعبيرا عن وجهي الفروسية هذين، يقول عن صاحبته:

أرَاهَا.. تُرِيني المَـوْتَ.. عَمْـدا وإنهـا لتَقْصُدُنِي-بالقتْل- تِيهًا، ومـا تـدرِي
أقَاتِلَتِـي.. عمْـدًا.. أُمَامَـةُ.. بَـاطِلا جِهَارًا.. كأنِّي لسْتُ.. بالصَّاحِبِ البرِ؟
فقلْتُ لهـا: مهْـلًا.. أُمَامَـةُ، قَصّـرِي عنِ الفَتْكِ بي.. فِعْلَ السَّفاهَةِ.. وَالخُسْرِ
وإلَّا فَـإنِّي مِـنْ مَعَـاشِرَ.. دأْبُهـمْ -إذَا وُتِرُوا- التَّشْمِـيرُ.. والأخْذُ بالثَّأْرِ
نَرَى الظفْرَ.. بالأعْدَاءِ.. نذْرًا.. وإنَّنَـا -إذَا مَا نذَرْنا الأمْرَ- مُوفُـونَ بالنـذْرِ

ثم يُعَرِّجُ على الفخْر بازْدِوَاجِية قومه، في امْتِلاكِ قُوَّتَي: "الكِتَابِ والرِّكَابِ":

ونحْنُ بُحُــورُ العِلْمِ.. قدْما.. وكلَّنـا ... لدَى الحرْبِ كالليْثِ الهزَبْرِ أبِي الأجْرِ
لنـا شَـاهِدٌ - فِـيمَا ادَّعَيْــنا- مُصَـدّقٌ ... غَدَاةَ الْتَـقَـيْنَا- وَالأَعَـادِيّ - بالغـمْرِ
غَــدَاةَ زحَفْنــا، في خَمــيسٍ، عَرَمْــرَمٍ ... إليْهِمْ.. جِـرَاءً.. عنْد مُنْصَدعِ الفجْـرِ
بجُرْدٍ، عَنَاجِــيجٍ، يَعَابِيـبَ، شُــزَّبٍ ... عَلَى زُمَرِ الأعْــدَاءِ.. مُعْتَـادَةِ الظَّــفْرِ
عليْهَا كُمَاةٌ، مـن بَنِـي سَـامَ، عَــوَّدُوا ... جَوَامِحَــــها الكَــرَّ، المُــؤَذِّنَ بــالظفْرِ
جَحَاجِحُ بُسْلٌ كالأُسُودِ لدَى الـوَغَى ... وُجُوهُهُمُ- في الأزْلِ- كالأنْجُمِ الزُّهْرِ
بأيْــديهِمُ.. أُولَى المَــدَافِعِ.. مُخْرِجًــا ... بِمَا قدْ حَوَتْ أسْخَى من البحْرِ والقَطْرِ
إذا سَــدَّدُوها.. فِي نُحُــــورِ عــدَوِّهِمْ ... أصابَتْ، فَلَمْ تُخْطِئْ -لهمْ- ثُغْرَةَ النحْـرِ

وإذا كان **"سيدِيَّ بن آدبَّ"** يتكلَّمُ هنا **باسْم الضمير الجمْعي** لقوْمه، الذين طالما مُدِحوا بذلك، على المستوى **الكنتي** عموما، و**البوسيفي** خصوصا، و**"الآدبيِّ"** بصورة أخص[1]؛ فالحقيقة أنَّه لم يكنْ ذلك الشاعر الذي يصفُ المَعارِكَ منْ خارجِها، أوْ يَتَمَثَّلُها، وهو عنْها غائبٌ، بلْ كانَ هو وإخْوتُه فرْسان الميْدان، المُسْتَبْسِلِينَ في الدفاع **"الشرعي"** عن حُرُمَاتِ جمَاعتهم، حسبَ المَرْجَعِيةِ الأخْلاقيةِ لمُقاوَمَتِهم الحربية، التي كان قوْمُهم يحرصون - في زعْمِهم- على أنْ لا يَتَخَنْدَقُوا خارِجَها، ظُلْما، وعُدْوانا، وجِرَابَة، ولُصُوصِية.. حسَبَ ما تفْرضُه -أحْيانا- طبيعةُ **"البلاد السائبة"**، وهذا الشيخ أحمد أيضا يَرْثِي شقيقَهما محمد لحْوار بن آدبَّ، مُؤَبِّنًا فيه كلَّ القِيم الفاضلةِ، ناصًّا على ثنائية **"السيْف والقلم"** خصوصا:

---

[1]- انظر: أدي ولد آدب: **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، سلسلة التراث الكنتي البوسيفي (أدبيات أهل آدب) (2)، ط 1، 2020م، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش المغرب.

العِلْمُ، والحِلْمُ، حَنَّا، حنَّتِ الحِكَمُ والحُكْمُ أنَّ، وأنَّ الجُودُ، والكَرَمُ
وكلُّ مُعْضِلَةٍ طمَّتْ بِدَاهِيَةٍ حَنَّتْ، كذا السَّيْفُ- يا للناسِ- والقَلَمُ

والحقيقة أن **التاريخ الشفهي** المحلي يذكر لهم جميعا **مواقف بطولية**، في **الدفاع** عن كل من **عاصمتي كنته** بتكانت: **قصر البركة**، و**الرشيد**، و**لسيدي** خصوصا شعر شعبي/ حساني/ يسجل بعض ذلك بنفَس **ملْحمي بطولي** طافح، كما أن جدهم **سيد الأمين**، **والد آدب**، قتل مستبسلا في الدفاع عن قومه المحاصرين في معركة **شگار گادل**، بعدما **أفتى** بوجوب **ذلك النوع من الحرب**، الذي لا مناص منه في **قانون التدافع**، بـ **"البلاد السائبة"**، عبر **فتوى مزدوجة** بين **الشرعية** و**الشِّعْرِيّة**، حيث قال، وهو قاضي الجماعة يومها "قافه" الحَسَّاني:

عـــدْنَا الْمَحَـــاصَرْ طمْعَـــهْ مرْحَـــانْ لَقْلِـــيمْ انْـــسَرْمُ
يـــوْلادْ بُوســـيفْ الرَّتْعَـــهْ وامْنَـــازلْ السَّـــاحلْ حـــرْمُ

وإذا التمسنا شاهدا على ما افتخر به **سيدي بن آدب**، فهذا شاعر يشهد على **شجاعة أهل آدب** جميعا **وسيدي** خصوصا، حين مدحه هو شخصيا، بفضائل أخرى فقال:

طـال بثِّـي مـنْ نـأي عَـزَّةَ عنَّـا لَيْتَنِـي مِنْهـا نِلْـتُ مَـا أتمَنَّـى
كمَنَـالِ الحَاجَـاتِ عـافٍ تـوَخَّى وَجْـهَ سِـيدِيَّ فـوْقَ مَـا كـانَ ظنَّـا
ومَنَـالِ الحـافِي بـه قـيْسَرِيًّا يرْتَعِـي مـن رياضِـهِ كـلَّ غَنَّـا
نجْـل آدبَّ مَـنْ حـوَى كـلَّ فخْـرٍ وعَـلَاءٍ، وسُـؤددٍ، قـدْ أبَنَّـا
بـتُراثٍ مـن سَـادَةٍ حـلَّ فـيهمْ مِـنْ قـديمٍ، وفـيهمُ قـد تَـأنَّى
هُـمْ لُيُـوثُ الحُـروبِ.. إذْ فَـرَّ أبْطـا لُ الـوَغَى، والجميـعُ بـالنفْسِ ضَـنَّا

كما مدحه بذلك **محمد بن الحابوس**، الملقب بمحمد "مِرّ" بترقيق الراء:

وإنْ صـــالَ الفـــوارسُ في قتـــالٍ ... يَـــرُدّ الصـــائلينَ عـــن المَصـــالِ
أيـــا رأسَ الجَحـــاجِحِ مـــنْ قُـــرَيْشٍ ... أُبَـــاةِ الضـــيْمِ إنْ دُعِيَـــتْ: نِـــزَالِ
تَخَـــيَّرْ مـــا ابْتغيْـــتَ مـــنَ المَعـــالِي ... علـــوْتَ عـــلى ذَوِي الهِمَـــمِ العَـــوَالِي
ولا تخْـــشَ المُنَـــازِعَ مِـــنْ رِجـــالٍ ... ولـــو جـــاءُوا بـــأثْمَانِ غَـــوَالِ

6- شاعريته: جدل النسب والأدب

إذا كانت المدرسة الكنتية عموما، والمختارية خصوصا، معروفة لدى الباحثين المتخصصين، بروعة أسلوبها الأدبي الراقي، وإشراق ديباجتها البيانية الفخمة، فقد رأينا، لأهل سيد الأمين بن محمد بن الطالب اعمر بن خيري البوسيفيين، نصيبا وافرا من ميراث تلك المدرسة الكنتية الأدبية الروحية، في شعرها ونثرها معا، عبرت عنه، قصائدهم، ورسائلهم، وإذا كان اكتساب مهارات الشعر ليس بالشيء المُسْتَصْعَب، ولا المُسْتَغْرَب على أبناء البدْو من العرَب والمُسْتعْربين، ولا سيما بالنسبة للمتعلمين، فإن الدارس لن يعرف- بالبداهة- متى تمرَّسَ هؤلاء البُداةُ الرُّحَلُ المُحَاربُون بتقنيات الكتابة النثرية، وتشرَّبُوا مهارات التعبير بها، بذلك المستوى الأدبي العالي الجوْدة، فحين كان رجال هذه الفصيلة البوسيفية في منطقة "آگان" منطقة التجاذب والتقاطب بين حضرتي أهل شيخ سيد المختار الكنتي في الشرق، وأهل الشيخ سيدي في الغرب، كان هؤلاء يخاطبون شيوخ الحضرتين بشعرية طافحة، ونثرية مُحْكَمَة، ومادام توارث الشعر في هذه السلالة جذورا، وفروعا، عبر القرون، قد بَرْهَنَ على أطْروحته بحْثٌ مستقل لي حول هذا الموضوع[1]، ومادام توارث النثر - عبر جدلية النسَب والأدَب- قد بَرْهَنَّا عليه بأمثلته من هذه العائلة أيضا؛ فإننا هنا نريد أنْ نُبَرْهِنَ

[1]- أدي ولد آدب: **أهل آدب: سلالة الشعر، وبيت القصيد**، سلسلة التراث الكنتي البوسيفي (أدبيات أهل آدب) (1)، ط 1، 2020م، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش المغرب.

فقط على أنَّ **سيدي ولد آدب** – موضوع بحثنا الراهن– ليس بِدْعًا، في علاقته بهذا الموضوع فهو الوريث الشرعي، لتفاعلات جدلية "النسب والأدب"، عبر القرون، والعروق، والأجيال، فهو أبو الشعراء، وأخو الأدباء الشعراء، وابن الشعراء الأدباء، وابن عم الشعراء الأدباء، المعرق في سلالة الشاعرية البوسيفة الخضراء، والبيضاء، وفي جدلية النسب والأدب الكنتية عموما، التي كانت نشأتها القبَليَّة توأما أزليا لنشأة الشعر الفصيح[1] والحساني[2] في هذه البلاد، والتي وصل مجمل المدوَّن منْ شعْرِهَا حتى الآن، إلى 7000 بيت لمئة شاعر كنتي، بين دفتي ديوان الصحراء الكبرى: المدرسة الكنتية، حسب مجهود فردي عظيم قام به مؤلفه[3].

فمثلا، **يشمل الشعر** والأدب: **سيدي ولد آدب، وأخوته الثلاثة:** محمد لحوار، وسيد مُحمد، والشيخ أحمد، **وأبوه** عبد القادر (**آدب**) **شاعر** وناثر بارع، **وأمه:** السعيدة بنت ألمين الجيد البوسيفية **شاعرة** عالمة، **وأخوه من أمه** السعيدة: محمد بن أحمد انبسيف، أديب شاعر، **وأخته منها:** أينات بنت أحمد انبسيف **شاعرة** وعالمة، وأبوهما، زوج السعيدة – قبل آدب– **شاعر** عالِم أديب، **وعَمَّا سِيديَ بن آدب:** محمد ويقي، والشيخ، **شعران** عالمان، مربيان، أدِيبانِ، **وأبوهم جميعا سيد الأمين** بن أمحمد بن الطالب اعمر بن خيري، **قاضي الجماعة، وفارسها، ويقول الشعر** أيضا، **وأخو سيد الأمين** المختار بن أمحمد **شاعر، وابنا أخيه هذا:** محمد، وأحمد، **شاعران** أيضا، **وابن عمهما احمد بوّ** بن محمد بن أمحمد بن الطلب اعمر بن خيري **شاعر** كذلك، **وأولاد بوسيف الخضر** بطن الجميع، **يروى** أن **أربعين فارسا** منهم– ذات حملة عسكرية– ارتجلوا **قصيدة جماعية** من أربعين بيتا، **وعلى ضوء**

---

[1]– ولد ابن احميدة، عبد الله: **الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط، مبحث النشأة والأصول**، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2008م، ص 166.

[2]– إبراهيم ولد مولود ولد داداه: **مختارات شعرية من غنا البيظان**، ص 02.

[3]– الأستاذ يحي بن سيد أحمد: **ديوان الصحراء الكبرى**: المدرسة الكنتية والقصائد النيرات"، ط دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

تتبع هذه الجينات الأدبية يكون المستغرب حقا أن لا يكون **سيدي ولد آدب شاعرا أديبا**، ما دام – في معدن هذه **السلالة الشعرية**– نسيبا.

ولعل بعض **النماذج السابقة** من شعره ونثره، **كافية للبرهنة** على **عراقته في** ثنائية **النسب والأدب** هذه، ولو شئت أن أضعه في موقعه الشعري، ضمن المدرسة المناسبة له، استئناسا ببعض مقترحات التصنيف الداخلي، للشعر الشنقيطي، حسب ما تقدم به بعض الدارسين، لجعلته في المدرسة ذات المنحى الجاهلي الأكثر جزالة وأصالة[1]، ولكن لا بأس بتذوق جزالة بيانه، ورونق ديباجته، واعتسافه لأساليب العرب الأصيلة، تلاعبا بنسيج التراكيب، فصْلا ووصْلا، واعتراضات، وتحَكُّمِه من ناصية التصوير، تشبيها واستعارة، ومحسنات لفظية ومعنوية، حسب مقتضيات المقام، دون بهْرجة شكلانية جوْفاء، حيث يقول في مقدمة قصيدته "الأنوارية، الآنفة الذكر:

زارتْكَ.. وصْلا.. بُعَيْدَ الهجْر أسْحارا ... أسْمَاءُ.. أهْلا بها من زائرٍ زارا
أهْلا بها.. كيف جابتْ– وهْيَ في شَحَطٍ ... ليْلا.. إلى نحْونا– فِيفًا.. وأوْعارا
وكانَ عهْدي بها، والمَشْيُ يُبْهِظُها ... بيْنَ الفَساطِيط، بلْ لا تَطْرُق الجارا
هيَ التِي غادرتْ– بالشَّجو، في خَلَدِي ... لَمَّا نأتْ– لوْعَةً، تذْكِي بهِ النارا
أكَفْكِفُ الدمْعَ، تاراتٍ، لأكتمْ ما ... بِي مِنْ هواها، ويَطْغَى الدمْعُ أطْوارا
وصرتُ، منْ بعْدِها، حيْرَانَ، ذا جَزَعٍ ... حُزْنًا، وكنتُ، لدَى الهيْجَاءِ، صَبَّارا
نَعْجَاءُ، بهْكَنَةٌ، دعْجَاءُ، مُخْجِلَةٌ ... أرْدَانُهَا الصَّبَغَ الهِنْدِيَّ، والغَارا
بيْضاءُ، إنْ بَرَزَتْ، تكادُ تُذْهِبُ– أوْ ... تَبَسَّمَتْ– مِنْ ذَوِي الأبْصَارِ، أبْصَارا
تَفْتَرُّ، عن بَرَدٍ، كالأُقْحَوَان، وقدْ ... جَفَّتْ أعالِيهِ، غِبَّ الصَّحْو، أمْطارا

[1] – الدكتور محمد المختار بن أباه: **الشعر والشعراء في موريتانيا**، دار الأمان، ط2، 2003 م، ص 59.

لــو كلَّمَــتْ قانِتًــا، لله، مُحْتَسِــبا ... يوْمًــا، غَــدَا فــاجِرًا، لله كفَّــارا
تُرْضِيكَ، إنْ أقْبَلتْ، أوْ أدْبَرَتْ، نظَرًا ... فأنْــتَ أرْضَــتْكَ إقْبــالا، وإدْبــارا
تخالُ، من بسْطِها، أسْنى الحديثِ خَنَى ... بها، وهيْهَاتَ، تخْشى النـارَ، والعـارا
مَـا كـانَ أعْـذبَ أيَّـام الوِصـالِ، لنـا ... وكمْ- لنَا- كانَ وجْهُ الـدهْرِ نَضَّـارا!
أجْنِي ثِمَارَ الهَـوَى، أيَّـامَ أقْطِـفُ مِـنْ ... روْضِ الأمَانِي- رَضِيَّ البال- أزْهـارا
حتَّى قـضَى الـدَّهْرُ تَـصْرِيفًا بفرْقتِنـا ... وإنَّ للـــدَّهْر إحْـــلَاءً، وإمْـــرارا
فهـل يُـدَنِّيكَ مـن أسْـما، وجِيرَتِهـا ... أنْ تمْتطِي نحْوَهَـا حـدْبَاءَ، حـدْبَارا؟
علْبــاءَ، ذعْلبَــةً، قــوْداءَ، شــازبة ... تفْـرِي الفَيـافِيَ، أسْـهالا، وأوْعـارا
وجْنــاءَ، يَعْمَلَــةً، كوْمــاءَ، ناجِيَــة ... عوْجَـاءَ، تَقْـتَحِمُ الأخْطـارَ، تَسْـيارا
الله يعْلـــمُ، أسْـــمَا، أنَّ بَيْـــنكمُ ... قد غادَرَ الوتْرَ- مـن قلبـيَ- أعْشـارا
والعينْ- منذُ نـأتكمْ- سَـحَّ مَـدْمَعُها ... واستبدلتْ- من لذيذ النوم- إسْهارا

وعندما يريد الهبوط، على مدرج المَدْح، بعْد هذا الإقلاع البعيد في معاريج النسيب، يبدي مهارات الربَّان الشعْري القدير، حيث يقول:

أسْمَاءُ.. لا تحْسـبِي أنِّي هَجَرْتُـكِ.. لا ... مَاكنْتُ- أسْمَا- كـما تـذْرينَ- غـدّارا
ما القلبُ عنكمْ سَلا.. لكنْ تَأَنَّسَ. أنْ ... آنستُ- من نحو ذي الأنوار- أنوارا
حيــث المُتَــيَّمُ يسْــلو هَمَّــهُ طرَبــا ... وحيث يَنْسَى الغريبُ الأهْلَ.. والدارا
وحيــث كــلُّ امْــرِئ يَحْظَــى ببُغْيَتِــه ... ويَكْــتَسِي مِــن ذُيــولِ النُّــورِ.....
وَحَيْث صِيدَتْ أوَابِـدُ العُلُـوم، وقـدْ ... رُدَّتْ شــوَاهِدُها؛ آيًــا، وآثــارا
ونالهَـا- ثـمَّ- مـن يبْغِـي نفائسَـها ... وأُعْطِيـتْ حقَّهـا، درْسًـا، وأذْكـارا
وحيــث تنْقلِــبُ الأنْهــارُ أبْحِــرَةً ... وتستحيلُ البُحـورُ الضُّـخْمُ أنهـارا
وحيــث خــيْرُ الــورَى تمَّــتْ وِرَاثَتُــه ... وحفْــظُ سِــيرتِه فــيما بــه ســارا
وحيث يُنْقَى مَعِينُ القدْس من طـرَقٍ ... منَ الصَّدَا، والطَّخَـا، رَيْنًـا، وأكْـدارا

وحيث أدْبرَ جيشُ البُطْلِ مُنْهَزِمًا ... مِنْ حيث أقبلَ جيْشُ الحقِّ جَرَّارا
وحيث أسْلمَ ذو الإغْواءِ مُعْتَقِدًا ... مِنْ بعْدما كانَ- بالإسْلامِ- مَكَّارا
وحيث لا تنْقضِي حيث المَكارم لوْ ... أفْنَيْتَ عُمْرَكَ.. واسْتعرْتَ أعْمارا
فعدِّ عن حصْرِها.. لا تحْصِهَا أبَدا ... سيَّانِ أوْجَزْتَ، أو أطْنَبْتَ إكْثارا

وتتكرر عنده براعة الاستهلال، وحسن التخلص، في قصيدته الرائية الأخرىٰ، حيث يقول:

ألا طرقتْ -كاليُسْر- من بعْدِمَا عسْرِ ... بمَسْرَى يُسَرِّي الهمَّ إمَّا لنَا تسْري
أمَامَةُ.. عنْ وصْلٍ.. لنا.. بعْد هجْرِنا ... فأهْلًا.. بهَا.. منْ واصِلٍ.. بعْدمَا هَجْرِ
مُحَبَّأةٌ.. تسْبِي الحلِيمَ.. بِمَنْطِقٍ ... هُوَ السِّحْرُ، لا السِّحْرُ المُؤدِّي، إلى الكُفْر
مُعَطَّرَة.. يُزْرِي- علَى المِسْكِ- طِيبُها ... وبالبَدْرِ.. تُزْرِي.. نصْفَ رابِعَةِ العَشْرِ
بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ.. عجْزَاءُ.. خدْلَةٌ ... مُهَفْهَفَةٌ.. بيْضَاءُ.. برَّاقةُ الثَّغْرِ
وكنتُ على الآزَامِ.. مِنْ قبْلِ هجْرِها ... صبُورا؛ فَأفْنَى هجْرُها ساحتيْ صبري
فلمَّا.. رَأيْتُ الهجْرَ- لا شَكَّ- قَاتِلِي ... علَى أنَّه -لِي دائمًا- بالهَوَى يُغْرِي
تَمَنَّيتُ.. لوْ- فِي الهَجْر- تَذْكُرُنِي.. ولوْ ... بِهُجْرٍ.. وَمَنْ لِي -مِنْ أُمَامَةَ- بالهُجْرِ؟
أرَاهَا.. تُرِينِي المَوْتَ.. عَمْدا وإنها ... لَتَقْصُدُنِي- بالقتْل- تِيهًا، وما تدرِي
أقَاتِلَتِي.. عمْدًا.. أُمَامَةُ.. بَاطِلا ... جِهَارًا.. كأنِّي لسْتُ.. بالصَّاحِبِ البرِ؟
فقلْتُ لها: مهْلًا.. أُمَامَةُ، قَصِّرِي ... عنِ الفَتْكِ بي.. فِعْلَ السَّفاهَةِ.. وَالخُسْرِ
وإلَّا فَإنِّي مِنْ مَعَاشِرَ.. دأْبُهمْ ... -إذَا وُتِرُوا- التَّشْمِيرُ.. والأخْذُ بالثَّأْرِ
نَرَى الظفْرَ.. بالأعْدَاءِ.. نذْرًا.. وإنَّنَا ... -إذَا مَا نذَرْنا الأمْرَ- مُوفُونَ بالنذْرِ

وفي **قصائده السجالية**، مع **أخوته** من **الشعراء**، لا يتخلىٰ عن **ثلاثية**: براعة الاستهلال، وحسن التخلص، وجزالة الأسلوب العربي المبين؛ ففي المُشاعَرَة التي تبادلها مع **الشيخ سيد أعمر** بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي والد العالم الشيخ باي، صاحب النوازل المعروفة، حين هم بتوديعهم، ومغادرة

حضرتهم بأزواد، عائدا لأهله ووطنه، فبادره مضيفه، يستبقيه عندهم فترة أطول بقصيدة منها:

"سِيدِيَّ"، إنْ لمْ تُقِمْ طولَ الزمان بنا ... فامكثْ.. هُنَا عِنْدَنا.. عَامَيْنِ.. أو عاما
أو نصْفَ عامٍ.. ولا نرْضَى بسيْرِكَ ذا ... ما لمْ تَعِدْنَا.. بُعَيْدَ السَّيرِ.. إلْماما
فإنَّكمْ صفوةٌ، دون الأنام.. لنا ... وإخوةٌ.. ويدٌ.. نقْضا.. وإبْراما
وجيرةٌ.. وعشيرٌ.. لا نُبَدِّلُه ... ما سامَنا.. قَطُّ.. في اللَّأْواء.. إسْلاما

فأجابه سيديا ولد آدب محتفظا بوزن البسيط وروي الميم:

قلبي... لذكْر أحبَّاءٍ.. نأوْا.. هامَا ... بلْ كدْتُ.. مِنْ غيْرها.. لا أعْرفُ السَّاما
أحِبَّة.. منذ بانوا.. بنتُ عن جَلَدِي ... بل بنت.. عن جسدي.. شوقا.. وتهياما
لما نأوا.. أضرموا.. في أضْلعيَّ.. وفي ... قلبي.. وقُودَ سَعير الشوْق.. إضْراما
بل ما سلوتكمُ.. في نعمة.. ولقد ... يسلي- الأحبة- طيبُ العيْش أقواما
إذ لا نعيم.. كآل الشيخ سيدنا الـ ... ـمختار.. من أوْضَحَ الإبْهامَ إلْهاما
أزْكي البَرِيَّةِ أعْراقًا.. وَأعْدَلِهِمْ ... قَسْما.. وأفْضَلِ مَنْ صلَّى، وَمَنْ صاما
بلى، وأجودهمْ كفًّا، وأقْدَمِهِمْ ... في الحرْب.. والسِّلْم.. أسيافا.. وأقلاما

ويفعل ذلك أيضا في **قصيدة أخرى له** تسمى **"التربية"** لأنها كانت بمثابة **"جُنَّةِ المُريد** دون المَرِيد"، **وجهها** إلى أخيه **الشيخ أحمد** بن آدب، ليكفكف من جموح الشباب لديه، ويجعله ينسجم في **"مَدَارِج السالكين"**، حيث كان الشيخ أحمد يخاطب أخاه الأكبر وشيخه "سيدي"- بعد مراجعات سابقة بينهما- معلنا تماديه في مسار هواه:

يَعُودُ السلامُ، الحافِلُ، الأوْفَرُ، الأسْنى ... إلَى سَيِّدِي "سِيدِيَّ" وَالِدِيَ الأحْنى
ثِمالِ اليَتَامَى.. فهْوَ بَهْجَةُ عصْرِه ... وطَلَّاعُ تلِّ المَجْدِ.. وهْوَ له مَغْنَى
وشَافِي مُرُيدٍ.. مِنْ مَرِيدٍ.. بنظْرة ... ومَرْمَى عِصِيِّ السيْر الأقْصَى أوِ الأدْنَى
بَأنِّي لمْ أرْدُدْ.. لِنَفْسِيَ.. عنْ هوًى ... ولمْ- سَيِّدِي- يَرْدُدْ لَهَا رَبُّها الأعْنَى

وأنـتمْ.. إذا تاقَـتْ تَرُومُـونَ ردَّهَـا وقوْلُكُمُ هَذَا.. كـ"الأعْوَرِ قدْ جُـنَّا"![1]

وقد كانت **قصيدة سيدي** هي **الوصفة الشافية**، التي فعلتْ فعْلَها الخَارِق، **فِي نفْسِيةِ الشيخ أحمد**، وفِي سُلوكِه، حيث قال فيها:

عَتَبْتُكَ.. فاهْنأ.. لا عِتَـابَ.. ألا فاهْنا ومأْتاكَ -أيًّا كانَ- عنْـدي هو الأهْنَا
أُحِـبُّ الـذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّمٍ وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَـى
وأبـذلُ.. مَـالِي.. في رضـاكَ.. وكلَّـما حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكـن.. لأمْـرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنـشْرِه مَغَبَّـتُه محْمُـودَةٌ.. لَـنِ اسْـتَأْنَى
وما خِلْتُ تصْرِيـفي لأمْـرٍ.. مُخَالِفًـا هوَاكَ.. كمَا عنْدِي هَوَاكَ مُنًى حُسْـنَى
وحَاشَى.. ويَأْبَى اللهُ.. تقليدَكَ الهَوَى وطَوْعَكَ قِتْلا.. مُفْسِدًا.. قبل أنْ يُثْنَـى
فرُضْها، وذُدْها عنْ هواهـا.. وزَكِّهـا ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَـلْ مَـا بـه تُعْنَـى!

[1]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:
"... وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا".... ثم دعوا أحد حكمائهم "فلما قصوا عليه القول قال أنذركم... والناقة الحمراء الدهناء، والجمل الأصهب الصمان، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..."
انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص191.

ثالثـــا

الديوان

1-رائيته في الفخر والحماسة

ألا طرقتْ -كاليُسْر- من بعْدِمَا عسْرٍ ... بمَسْرَى يُسَرِّي الهمَّ إمَّـا لنَـا تسْـري

أَمَامَةُ.. عنْ وصْلٍ.. لنا.. بعْد هجْرِنا ... فأهْلًا.. بهَا.. منْ واصِلٍ.. بعْدمَا هَجْـرِ

مُخَبَّـأةٌ.. تسْـبِي الحلِـيمَ.. بِمَنْطِـقٍ ... هُوَ السِّحْرُ، لا السِّحْرُ المُؤدِّي، إلى الكُفْر

مُعَطَّرَة.. يُزْرِي- علَى المسك- طِيبُهـا ... وبالبَدْرِ.. تُزْرِي.. نِصْفَ رابِعَةِ العَشْرِ

بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ.. عجْزَاءُ.. خدْلَةٌ ... مُهَفْهَفَـةٌ.. بيْضَـاءُ.. بـرَّاقةُ الثَّغْـرِ

وكنتُ على الآزَامِ.. مِنْ قبْلِ هجْرِهـا ... صبُورا؛ فَأفْنَى هجْرُها ساحتيْ صـبري

فلمَّا.. رَأَيْتُ الهجْرَ- لا شَكَّ- قَـاتِلِي ... علَى أنَّه -لِـي دائمًا- بالهَـوَى يُغْـرِي

تَمَنَّيتُ.. لوْ- فِي الهَجْر- تَذْكُرُنِي.. ولوْ ... بِهُجْرٍ.. وَمَنْ لِي -مِنْ أُمَامَةَ- بالهُجْـرِ؟

أرَاهَا.. تُرِينِي المَـوْتَ.. عَمْـدا وإنهـا ... لَتَقْصُدُنِي-بالقتْل- تِيهًا، ومـا تـدرِي

أَقَاتِـلَتِـي.. عمْـدًا.. أُمَامَـةُ.. بَـاطِلا ... جِهَارًا.. كأَنِّي لسْتُ.. بالصَّاحِبِ البرِ؟

فقلْتُ لهـا: مهْـلًا.. أُمَامَـةُ، قَصِّـرِي ... عنِ الفَتْكِ بي.. فِعْلَ السَّفاهَةِ.. وَالخُسْرِ

وإلَّا فَـإنِّي مِـنْ مَعَـاشِرَ.. دأْبُهُـمْ ... -إذَا وُتِرُوا- التَّشْمِيرُ.. والأخْذُ بالثَّأْرِ

نَرَى الظفْرَ.. بالأعْدَاءِ.. نذْرًا.. وإنَّنَـا ... -إذَا مَا نذَرْنا الأمْرَ- مُوفُـونَ بالنـذْرِ

ونحْنُ بنُو الكنْتيّ-لا فخْرَ- خيْرُ مَنْ ... - وَحَقِّ إلهِ العرْش- يمْشِي عَلَى العَفْرِ

كَـرَامٌ.. نَمَتْـنَا - من مَعَـدٍّ- سَرَاتُهُـمْ ... إلى أنْ توَسَّـطْنا الـذَّوَائِبَ مِـنْ فِهْـرِ

عَزُيزُونَ.. أحْسَابًا.. ودِيـنًا.. لِعِزِّنَـا تَـذِلَّ نُخَـا أهْـلِ الـتَّخَمُّطِ، والكِـبْرِ
لنا النـاسُّ.. مُلِّكْنَـاهُمُ مـنْ مَلِـيكِهِمْ ونَحْنُ لَـهُ طـوْع الأوَامِـرِ، والزَّجْـرِ
إذا مَـا أرَدْنَـا سَـيِّدًا.. سَـادَ سِرْبَـه ولوْ لمْ يَكُنْ مِنْ قَـبْـلِهَا ذِكْرُه يجْـرِي
لنا العِزُّ.. لا بالمالِ.. والفخْـرُ.. لا بِـه إذا صـانَه الأرْذالُ للعِـزِّ والفخْـرِ
مَكاسِـبُنا الجَـاهُ.. الوَجيـهُ.. ومالُـنَا مُعَدٌّ.. لـديْنا.. للمَحامِـدِ.. والشُّـكْرِ
ونحْنُ بُحُورُ العِلْـمِ.. قـدْما.. وكلُّنـا لدَى الحرْبِ كالليْثِ الهزَبْرِ أبِي الأجْرِ
لنـا شَـاهِدٌ - فِـيمَا ادَّعَيْـنا- مُصَـدّقٌ غَدَاةَ الْتَـقَيْنَا- وَالأَعَـادِيّ - بالغـمْرِ
غَـدَاةَ زحَفْنـا، في خَمـيسٍ، عَرَمْـرَمٍ إليْهِمْ.. جِرَاءً.. عنْد مُنْصَـدعِ الفجْـرِ
بجُـرْدٍ، عَنَـاجِيجٍ، يَعَابِيـبَ، شُـزَّبٍ عَلَى زُمَرِ الأعْـدَاءِ.. مُعْتَـادَةِ الظَّـفْـرِ
عليْهَا كُمَاةٌ، مـن بَنِـي سَـامَ، عَـوَّدُوا جَوَامِحَـها الكَـرَّ، المُـؤَذِّنَ بـالظفْرِ
جَحَاجِحُ بُسْلٌ كالأُسُودِ لدَى الـوَغَى وُجُوهُهُمُ- في الأزْلِ- كالأنْجُمِ الزُّهْـرِ
بأيْـديهِمُ.. أُولَى المَـدَافِعِ.. مُخْرِجًـا بِمَا قدْ حَوَتْ أسْخَى من البحْرِ والقَطْـرِ
إذا سَـدَّدُوها.. فِي نُحُـورِ عـدَوِّهِمْ أصابَتْ، فَلَمْ تُخْطِئْ - لهمْ- ثُغْرَةَ النحْـرِ

2- رائيته "الأنوارية" التي اشتق لها اسمها من بلدة "بو لنوار" في أزراد، حيث مدفن الشيخ سيدي المختار الكنتي:

زارتْكَ.. وصْلا.. بُعَيْدَ الهجْر أسْحارا أسْـمَاءُ.. أهْـلا بهـا مـن زائـرٍ زارا
أهْلا بها.. كيف جابتْ- وهْيَ في شَحَطٍ لـيْلا.. إلى نحْونـا- فِيفًـا.. وأوْعـارا
وكانَ عهْـدي بهـا، والمَشْـيُ يُبْهِظُهـا بيْنَ الفَساطِيط، بـلْ لا تَطْـرُق الجـارا
هيَ التِي غادرتْ- بالشَّجو، في خَلَدِي لَّمـا نـأتْ- لوْعَـةً، تـذْكِي بـهِ النـارا
أكَفْكِفُ الـدمْعَ، تـاراتٍ، لأكـتمْ مـا بِي مِنْ هواها، ويَطْغَى الـدمْعُ أطْـوارا
وصرتُ، منْ بعْدِها، حيْرَانَ، ذا جَزَعٍ حُزْنًا، وكنتُ، لدَى الهيْجَـاءِ، صَـبَّارا
نَعْجَـاءُ، بهْكَنَـةٌ، دعْجَـاءُ، مُخْجِلَـةٌ أرْدَانُهَـا الصَّـبَغَ الهِنْـدِيَّ، والغَـارا

بيْضاءُ، إنْ بَرَزَتْ، تكـادُ تُـذْهِبُ- أوْ ... تَبَسَّمَتْ- مِنْ ذَوِي الأبْصَارِ، أبْصَـارا

تَفْـتَرُّ، عـن بَـرَدٍ، كـالأُقْحَوَان، وقـدْ ... جَفَّتْ أعالِيهِ، غِبَّ الصَّـحْو، أمْطـارا

لـــو كلَّمَـــتْ قانِتًـــا، لله، مُحْتَسِـــبا ... يوْمًـــا، غَـــدَا فـــاجِرًا، لله كفَّـــارا

تُرْضِيكَ، إنْ أقْبَلتْ، أوْ أدْبَرَتْ، نظَرًا ... فأنْـــتَ أرْضَـــتْكَ إقْبـــالا، وإدْبـــارا

تخالُ، من بسْطِها، أسْنى الحديثِ خَنَى ... بها، وهيْهَاتَ، تخْشى النـارَ، والعـارا

مَـا كـانَ أعْـذبَ أيَّـامِ الوِصـالِ، لنـا ... وكمْ- لنَا- كانُ وجْهُ الـدهْرِ نَضَّـارا!

أجْنِي ثِمَارَ الهَـوَى، أيَّـامَ أقْطِـفُ مِـنْ ... روْضِ الأمَانِي-رَضِيَّ البـال-أزْهـارا

حتَّى قـضَى الـدَّهْرُ تَـصْرِيفًا بفرْقتِنـا ... وإنَّ للـــدَّهْر إحْـــلَاءً، وإمْـــرارا

فهـل يُـدَنِّيكَ مـن أسْـما، وجِيرَتِهـا ... أنْ تمْطِي نحْوَهَـا حـدْبَاءَ، حـدْبَارا؟

علْبـاءَ، ذعْلبَـةً، قـوْداءَ، شـازبة ... تفْـرِي الفَيـافِيَ، أسْـهالا، وأوْعـارا

وجْنـاءَ، يَعْمَلَـةً، كوْمـاءَ، ناجِيَـة ... عوْجَـاءَ، تَقْـتَحِمُ الأخْطـارَ، تَسْـيارا

الله يعْلـــمُ، أسْـــمَا، أنَّ بَيْـــنكمُ ... قد غادَرَ الوتْرَ- مـن قلبـيَ- أعْشـارا

والعينْ-منـذُ نـأتكمْ- سَـحَّ مَـدْمَعُها ... واستبدلتْ- من لذيذ النوم- إسْهارا

أسْمَاءُ.. لا تحْسـبِي أنِّي هَجَرْتُـكِ.. لا ... مَاكنْتُ- أسْمَا- كـما تـذْرينَ- غـدّارا

ما القلبُ عنكمْ سَلا.. لكنْ تَأَنَّسَ. أنْ ... آنستُ- من نحو ذي الأنوار- أنوارا

حيـث المُتَـيَّمُ يسْـلو هَمَّـهُ طرَبـا ... وحيث يَنْسَى الغريبُ الأهْلَ.. والـدارا

وحيـث كـلُّ امْـرِئ يَحْظَـى ببُغْيَتِـه ... ويَكْتَسـي مِـن ذُيـولِ النُّـورِ.....

وَحَيْث صِيدَتْ أوَابِـدُ العُلُـوم، وقـدْ ... رُدَّتْ شـــوَاهِدُها؛ آيًـــا، وآثـــارا

ونالَهَـا- ثـمَّ- مـن يبْغِـي نفائسَـها ... وأُعْطِيـتْ حقَّهـا، درْسًـا، وأذْكـارا

وحيـث تنْقلِـبُ الأنْهـارُ أبْحِـرَةً ... وتستحيلُ البُحـورُ الضُّـخْمُ أنهـارا

وحيـث خـيْرُ الـورَى تمَّـتْ وِرَاثَتُـه ... وحفْـظُ سِـيرتِه فـيما بـه سـارا

وحيث يَنْفِي مَعِينُ القدْس من طـرَقٍ ... منَ الصَّدَا، والطَّخَـا، رَيْنًـا، وأكْـدارا

وحيـث أدْبـرَ جـيشُ البُطْـلِ مُنْهَزِمًـا ... مِنْ حيث أقبـلَ جـيْشُ الحـقِّ جَـرَّارا

وحيـث أسْـلمَ ذو الإغْـواءِ مُعْتَقِـدًا ... مِنْ بعْدما كـانَ- بالإسْـلامِ- مَكَّـارا
وحيث لا تنْقضـي حيث المَكـارم لـوْ ... أفْنَيْـتَ عُمْـرَكَ.. واسْـتعرْتَ أعْـمارا
فعدِّ عن حـصْرِها.. لا تحْصِـهَا أبَـدا ... سـيَّانِ أوْجَـزْتَ، أو أطْنَبْـتَ إكْثـارا
فسْلْ مُرَادَكَ جـادِي المُجْتَـدِينَ، ومَـنْ ... أمْسَـى بكُـلِّ فُنُـونِ الـدِّينِ سمْسـارا
مُجَـدِّدًا، كـامِلًا، علّامـةً، علَـمًا ... للجـارِ، والعَـادِ، نفَّاعًـا، وضَرَّارا
لَمَّا بَدَتْ شمْسُه أضْحَى الهُـدَى بَهِجًـا ... وكُلُّ ذِي كوْكَبٍ- مِـنْ أُفْقِـه- غـارا
حتَّـى تَغَشَّـتْهُمُ أنْـوَارُهُ بهُـدًى ... مُسْتَسْـلِمِينَ؛ فصـارُوا، بعْـدُ، أقْـمارا
فقُلْ، بقلْبٍ، كَسِـيرٍ، ضـارِعٍ، وَجِـلٍ ... مـن فضـله تَلْتَقِـي مـا كنْـتْ مختـارا:
يا شيْحَنا، سيدي المُختار خـذْ بيـدِي ... يـا خـيْرَ مَـنْ صـيَّرَ الفجَّـار أبْـرَارا
يا شيْحَنا، سيدي المُختار خـذْ بيـدِي ... يـا خـيرَ مَـنْ صـيَّرَ الأشْرارَ أخْيـارا
يا شيْحَنا، سيدي المُختار خـذْ بيـدِي ... يـا خـيْرَ مَـنْ صـيَّرَ البِحَـارَ أنْهَـارا
يا شيْحَنا، سيدي المُختار خـذْ بيـدِي ... والـوزرَ ضـعْه، فقـد أثْقِلـتُ أوْزارا
يا شـيْخُ، خـذْ بيـدِي، يـا مـن بهمَّتِـه ... يُصَـيِّرُ الكـفَّ إمَّـا شـاءَ عصَّـارا
ويـا خليفـةَ غـوْثِ العـالمينَ، ويـا ... مَنْ شادَ للدِّينَ- بعْدَ الهـدْم- أسْـوَارا
ويا خليفـة، خُـذْ- ياسَـيِّدِي- بيَـدِي ... يا خـيْرَ مَـنْ نَـالَ سِرَّ الـسِّرِ إجْهـارا
ويا خليفـة، خُـذْ- ياسَـيِّدِي- بيَـدِي ... يا خيْرَ مَنْ فـاتَ مـنْ فـاتُوهُ أعْصـارا
يـا أُمَّنَـا، عَرِّجـي، يـا مَـنْ فضـائلُها ... قد حَيَّرَتْ- مِنْ ذَوِي الأفْكار- أفْكارا
وَخُـذْ يَـدَيَّ، أزَيْـنَ العابـدين، ومـن ... أمْسى - مَقامًا- على الكُبَّـار- كُبَّـارا
يا سَيِّدي، يا حبيـب الله، خُـذْ بيَـدِي ... يا خيْرَ فـرْعٍ- بـأعْلَى أصْـلِه- صَـارا
وخُذْ- مِنَ الوَهْدِ- يَا حَمَّ الأمين- يَدِي ... يـا حـائزَ الفضْـل، إعْلانـا، وإسْرارا
يَا حَضْرَةَ القُدْسِ، منَ مِنكُمْ ذكرْتُ، ومَنْ ... عَجَـزْتُ عنْـهُ لضـيقِ البـاعِ أشْـعَارا
يـا مُنْجِـزِي طلبَـاتِ الطـالبينَ، ويَـا ... مَنْ أسْدَلُوا-لحَـريمِ الـدِّينِ- أستـارا
ومَـنْ إذَا أمَّهُـمْ ذُو حَاجَـةٍ عَظُمَـتْ ... يَنَـالُ مِـنْ سُـؤْلِهِ مَـا حَوْلَـهُ طـارا

ونَحْنُ معْشَرَ "كنْتَهْ" لائذُونَ بكُمْ ... ومُسْتَجِيرُونَ مِنْ دَهْرٍ بنَا جَارا
وقدْ رَمَتْنَا الأَعادي عنْ ضَغائنِها ... ظُلْمًا، وقد أَنْشَبُوا، في الحيِّ، أظْفارا
حَاشاكمُ أنْ يُضامَ جارُ ساحَتكمْ ... أوْ أنْ يُسامَ-أنَا- بالخَسْف- إخْفارا
فما أتاكمْ أخُو حَوْجَا، وإنْ عَظُمَتْ ... إلَّا ومَا يَشْتَهِي مِنْكمْ، بهِ، حارا
إذْ لَيْسَ يَمْنَعُكمْ بُخْلٌ، ولا عَجَزٌ ... لَا، والذِي اخْتَارَكمْ، مِمَّنْ قدِ اخْتارا
ثمَّ الصلاةُ، على مَوْروثِكمْ، دِينًا ... مَنْ قادَ قوْمًا - إلى الإسْلام- كُفَّارا
والآلِ، والصَّحْبِ، والأَنْصَارِ، مَنْ بهمُ ... في الدِّينِ، كانُوا لهُ عوْنا، وأنْصارا

3- تخميسه لقصيدة والده عبد القادر (آدب) بن سيد الأمين

يَا نفْسُ، أوبِي، قدْ ذهَبْتِ سبَهْلَلَا ... قد آنَ نَهْضٌ منْكِ، وَيْحَكِ، للعُلَى
ماذا الجَفَا؟ هَلَّا اعْتَبَرْتَ بمَنْ خَلَا؟ ... "سَعِدَ الأُلَى، رهَبُوا كمَا سَعِدَ الأُلَى
رغَبُوا إلَى المَوْلَى، وفِي نَيْلِ العُلَى"

ملَكُوا الهَوَى عبْدًا لهمْ سُلْطانُهُ ... ودَليلُهمْ في خيْرِهمْ شَيْطانُهُ
إذْ جاهَدُوهُ وهَمُّهُمْ إيمانُهُ ... "صامُوا وقامُوا وانْتَهَوْا عمَّا نُهُوا
عنْهُ أَلَا أكْرِمْ بهَاتِيكَ الحُلَى"

قَوْمٌ شَأَوْا في مُنْتَهَى تهْذِيبهمْ ... لنُفُوسِهمْ في سِرِّهِمْ وقُلُوبِهمْ
ففَنَوْا عنِ الفَانِي بِوَجْدِ حَبِيبِهِمْ ... "مَنْ لِي برأيهمْ؟ ومن ذا لي بهم؟
يا سادَتي إذْ فَضْلُهُمْ قِدْمًا جَلَا"

أمسيْتُ عنْ نَفَرِ الأطايبِ نَائِيا ... لَمَّا غَدَوْتُ مِنَ الأجَانِبِ دَانِيا
فلِذَا رَفَعْتُ يَدَ الضَّرَاخِ مُنَادِيا: ... "يا غوْثُ، يا أقْطَابُ، يا أوْتادُ، يا
أخْيَارُ، يا نُجَبَاءُ، يَا أهْلَ العُلا"

إنِّي نَزيلُ جَنَابِكمْ لسُمُوِّه ... يُرْبِي على ذي الانْتِبَاهِ لسَهْوِهِ
ويَرَى المُنَا فِي بُعْدِهِ ودُنُوِّهِ ... "وَلَّي شَبَابُ مُحِبِّكم في لَهْوِهِ
وَمَشِيبُه، يا سادَتِي، قَدْ أقْبَلَا"

وبَعَـدْتُ عـنْكمْ لا قِـلَى فِي حُـبِّكُمْ بلْ كَـعَّ نِضْـوِي دُونَ سـابِقِ نُجْـبِكُمْ
عــارٌ علــيْكمْ أنْ أضِــيعَ بِجَنْــبِكُمْ "مِـنْ بَعْـدِ مَـا مَـنَّ الإلـهُ بِحُـبِّكُمْ
وعليَّ بالفضْلِ الجَزيلِ تَفَضَّلَا"
إنِّي رأيْـــتُ رُقِـــيَّهُمْ لا يُرْتَقَـــى والحــالُ أنْشَــدَنِي، وحــالي صَــدَّقا
ناديْـتُ مَـنْ أهْـوَى؛ فعَـزَّ المُلْتَقَـى "نـــاديْتُهُمْ مُتَمَلِّقَـــا مُتَشَـــوِّقا
فعَسَى يُجِيبُوا مُذْنِبًا مُتَبَتِّلا"
يـا سَـادَةً، شَرِبُـوا زُلالًا قـدْ صَـفَا مِـنْ عَـيْنِ تَسْـنِيمِ المَحَبَّـةِ والصَّـفَا
هــذا طريــد عــنْ مقَــامِكُمُ انْتَفَــى "يَشْـكُو القَسَـاوَةَ والـبَلَادَةَ والجَفَـا
وبكمْ إلى المَوْلَى أتَى مُتَوَسِّلَا"
أسْــتاركمْ، يــا ســادَتي، لا تهْتكُــوا الطَّبْــعُ مِــنْكُمْ فِي الإغَاثَــةِ أمْلَــكُ
وعُبَيْــدُكمْ بِعُــرَاكُمْ مُتَمَسِّــكُ "هُبَّــوا لِمَــا قــد نَابَــهُ لَا تَتْرُكُــوا
مِسْكِينكُمْ، فهْوَ المُصابُ المُبْتَلَى"

4- قصيدته في زيارته ضريح سيد محمد الكنتي الكبير، بجبل فصك في ولاية إنشيري:

أنَخْتُ رِكَابًا، طَلَّحَتْهَا الصَّحَاصِحُ فصـارتْ حَنَايَـا كالـقِسِيِّ طلائـحُ
سَـوَاهِمَ هَـزْلَى دَأْبُهَـا السَّـيْرُ دِيمَـةً تُقَـرِّبُ مِ الطَّيَّـاتِ مَـا هُـوَ نـازِحُ
لدى السَّـيِّدِ الكنْتِـيِّ، أعْنِـي: مُحَمَّـدًا فَـذاكَ الـذي تُلْقَـى لدَيْـهِ المَـدَائِحُ
قَصَـدْنَا إليْـه وافِـدِينَ لحاجِنَـا لِيَنْفَحَنَـا مِـنْ سَـيْبِهِ الغَمْـرِ نـافِحُ
ويَـرْأبَ مَثْآنَـا الإلـهُ بِجَاهِـهِ وتُجْلَبَ، بَعْـدَ الثَّـأيِ، فِينـا، المَصَـالِحُ
ويَجْمَعَنَـا مِـنْ بَعْـدِ بَـيْنٍ فَكُلُّنَـا عـلَى جِهَـةٍ مِـنْ لوْعَـةِ البـيْنِ نـائحُ
ويُخْمِـدَ جمْـرًا في القُلـوبِ مُؤجَّجًـا فجمْـرُ النـوى والبـيْنِ فِـيهِنَّ قـادِحُ

فهُبُّـوا لَمَـا قـد نابَنـا، غَـوْثُ، إنَّنِـي أتيْـتُكُمُ مِمَّـا بِنَـا أنـا صـائحُ
قَصَـدْنَا بِـمَا قُلْنَـا ومـا لم نَقُـلْ لكـمْ وَقَاصِدُكمْ، في العَادِ، لَا شَكَّ، نـاجحُ
وصـلَّى عـلى الهـادي الأمِـينِ إلهُـهُ وآلٍ وصـحْبٍ هُـمْ أسُـودٌ جحَـاجِحُ
بمِقْـدَارِ مـا قُمْـتُمْ لِـرَاجٍ بحاجَـهِ ومـا لاحَ في الآفـاقِ مِ الشُّـهْبِ لائـحُ

5- مشاعرة بين سيدي وأخيه الشيخ أحمد بن آدب، حيث قال هذا:

يَعُودُ السلامُ، الحافِلُ، الأوْفَرُ، الأسْنى إلَى سَيِّدِي "سِيدِيَّ" وَالِـدِيَ الأحْنى
ثِـمَالِ اليَتَـامَى.. فهْـوَ بَهْجَـةُ عـصْرِه وطَلَّاعُ تلِّ المَجْدِ.. وهْوَ لـه مَغْـنَى
وشَـافِي مُرُيـدٍ.. مِـنْ مَرِيـد.. بنظْـرة ومَرْمَى عِصِيِّ السيْرِ الأقْصَى أوِ الأدْنَى
بَأَنِّي لمْ أرْدُدْ.. لِنَـفْسِيَ.. عـنْ هـوًى ولمْ- سَيِّدِي- يَرْدُدْ لَهَـا رَبُّهـا الأعْنَـى
وأنتمْ.. إذا تاقَـتْ تَرُومُـونَ ردَّهَـا وقوْلُكُمُ هَذَا كـ "الأعْوَرِ قدْ جُنَّا"![1]

فأجابه سيدي: بقصيدته التي سميت: "التربية"

عَتَبْتُكَ، فاهْنأ، لا عِتَـابَ.. ألا فاهْنـا ومأتاكَ - أيَّا كانَ- عنْدي هو الأهْنَـا
أُحِـبُّ الـذِي أحْبَبْـتَ.. غَـيْرَ مُحَـرَّم وأبغضُ ما أبْغضتَ بالحِسِّ، والمَعْنَـى
وأبـذلُ.. مَـالِي.. في رضـاكَ.. وكلَّـما حَمَيْتكَ.. لمْ أمْنَعْهُ حِرْصًا.. ولا ضَـنَّا
ولكـن، لأمْـرٍ.. لمْ أُكَلَّـفْ.. بنـشْرِه مَغَبَّـتُه محْمُـودَةٌ.. لَمَـنِ اسْـتَأْنَا

[1]- لقد استحضر هنا قصة رجل من تميم كان أسيرا عند قوم، فسمعهم يتحدثون عن عزمهم على غزو قومه، فطلب منهم السماح له بإرسال رسالة إلى أهله، فاشترطوا لذلك أن يسمعوا الرسالة، حتى يتأكدوا من خلو محتواها من أي إنذار، فكان من ضمن وصاياه لهم:
"... وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب... فلما وقفوا على الكلام.. قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جملا".... ثم دعوا أحد حكمائهم " فلما قصوا عليه القول قال أنذركم... والناقة الحمراء الدهناء، والجمل الأصهب الصمان، يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل..."
انظر: داود بن عمر الأنطاكي: **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**، ص191.

وما خِلْتُ تــصْرِيفي لأمْـرٍ.. مُخَالِفًـا ... هوَاكَ.. كمَا عنْدِي هَوَاكَ مُنًى حُسْـنَى
وحَاشَى.. ويَأْبَى اللهُ.. تقليدَكَ الهَوَى ... وطَوْعَكَ قِتْلا، مُفْسِدًا، قبـل أنْ يُثْنَـى
فرُضْها، وذُدْها عنْ هواهـا.. وزَكِّهـا ... ولا تُعْطِها نَيْلًا.. تَنَلْ مَـا بـه تُعْنَـى!
لأنَّ بظَلْفِ الـنفْسِ.. عـن شهواتِـها ... يَنالُ الفَتى.. المَأْمُولَ -فِي الله- والأَمْنا
ولا عِــزَّ.. إلا بَعْــدَ إِذْلَالَ مُهْجَــةٍ ... ولا رَاحَةٌ- دُونَ العَنَا- ثَمْرُها.. يُجْنَى
فتلْكَ سَبـيلُ الحق.. قامـتْ بقوْمِهـا ... ومَنْ لمْ يُقِــمْها.. لا يُقِــيمُ لَـهُ وزْنـا
ومـا حـازَ قَصْـبَ السَّـبْقِ إلا مُشَـمِّرٌ ... قدَ آثرَ.. ما يبْـقَى.. على كل ما يَفْنَـى
وأَلْقَى حُظوظَ الـنَّفسِ، ظِهْرِيـةً.. ولمْ ... يعرِّجْ على كــأسٍ.. سقتْه.. له.. وهْنا
وضـمَّرَ طِـرْفَ العـزْم، لمْ يـثْنِ طَرْفَـه ... إلَى غيْرِ مَطْلُوبٍ.. أمَامَ.. لَهَا اسْـتدْنى
وجَدّ سَبيلَ القَوْمِ.. لمْ يــأْلُ.. قاطِعـا ... صَحَاصِحَها، والمَهْمَهَ القَفْرَ، والدَّهْـنا
تلاشَـى.. لدَيْهِ الكوْنُ.. ينْحُو مكوِّنـا ... فقدْ هَجَرَ الأفْراحَ، واسْتَصْحَبَ الحُزْنا
ولمْ يتَّخِـذْ - غـيْرَ المُهَـيْمِنِ- صـاحِبًا ... ولادُونَ ما يخْشَى- سِوَى ذِكْرِهِ- حِصْنا
هنالكَ.. يَحْـظَى.. بالـذي هُـوَ آمِـلٌ ... ويَصْـحَبُه التَّيْسِـيرُ.. فِـيمَا لـه عنَّـا
وتصْـحَبُه -منْـهُ- العِنَايَـةُ.. كائِنـا ... له- في المَرَامِ- العيْنَ.. واليَدَ.. والأُذْنا
وتُطْوَى لـه قُصْـوَى المَفَـاوِزِ.. مُلْقِيًـا ... عَصَا سَيْـرِهِ.. قد بُوِّئَ المَقْعَدَ الأَسْـنَى
على نحْوِ هذا، فانْحُ، إنْ كنْـتَ ناحِيًـا ... ولا تَرَ شأْنًا.. غـيْرَ مَـا شَأْنُـهُ شـأْنا
لتبلـغَ أقْــصَى مـا تُريـدُ.. وتقْتَفـي ... ورَاثَةَ مَنْ أغْـنَى مُحِبَّيهِ.. مَـنْ أقْــنى
عليْـه صَـلَاتِي.. مَحْـوَ ذنْـبٍ.. بتوْبَـةٍ ... ومَـا زهْزَهَـتْ أرْوَاحُ شَـامِيةٍ غُصْـنَا

6- مشاعرة بينه وبين سيد أعمر بن الشيخ سيد محمد، حين زار حضرة آل الشيخ سيد المختار في أبي الأنوار بأزواد، وعندما هم بالتوديع قال الشيخ سيد أعمر:

"سِيدِيَّ"، إنْ لمْ تُقِمْ طول الزمان بنـا ... فامكثْ.. هُنَا عِنْدَنا.. عَامَيْنِ.. أو عاما

أو نصْفَ عامٍ.. ولا نرْضَى بسيْرِكَ ذا ... ما لمْ تَعِدْنَا.. بُعَيْدَ السَّيرِ.. إلْماما
فإنَّكمْ صفوةٌ، دون الأنام.. لنا ... وإخوةٌ.. ويدٌ.. نقْضا.. وإبْراما
وجيرة.. وعشير.. لا نبدله ... ما سامَنا.. قَطُّ.. في اللَّأْواء.. إسْلاما
ولا ... ولا أبْدَى لنَا ضَجَرًا ... مِنّا وبالله لمْ نُبْرِمْهُ إبْراما
وما جَنَيْنَا ولا نَجْنِي بهِمْ شَرَرًا ... لا بَلْ أَلَذُّ منَ الجادي إطْعَاما
لاسِيَّما منْهمُ مَنْ ليس يَبْلُغُهُ ... والله يَعْلَمُ من أرْدَى ومنْ حاما
كجَدِّه وأبيهِ الخَيْرِ سَائِسِهِ ... وأهْلِه الغُرِّ أخْوالا وأعْمَاما
لا غَرْوَ؛ فهْوَ وهُمْ مِثْلُ النُّجومِ لِمَنْ ... يَبْغِي الهِدَايَةَ أنْوارا وأعْلاما
أمْضَى البَرِيَّةِ ألْبَابا وأعْظَمهمْ ... فضْلا وأكْبَرهمْ عِلْمَا وأحْلاما
بَلَى، وأجْوَدهمْ كفًّا وأعْرَفهمْ ... عُرْفًا، وأوْضَحهمْ حُكْمًا وأحْكاما
لَمَّا رأيْتُكمُ، كمَا سَمِعْتُ بِكمْ ... خَيْرَ البَرِيَّةِ إقْداما وإحْجاما
ألْزَمْتُ قلْبِي لكمْ وُدًّا يُناطُ بِهِ ... مُسْتَلْزِمًا ذَا لكمْ، والله، إلْزاما
لا أنْثَنِي عنْهُ ما سَارَ اللَّدَام ولا ... أطاوِعُ الدهْرَ من فِي الوُدِّ قدْ لاما
لا أبْتغِي بدَلا منْهمْ بغيْرهمُ ... ولا أرَى خَلَفًا مِنْ غيْرهمْ قاما
الله يُتْحِفُكُمْ زُغْفًا مُضَاعَفَةً ... من السَّلَامَةِ إفْضالا وإنْعاما
مِنِّي لَمَنْ حَلَّ منْهمْ بالجُرَيْفِ ومَنْ ... حَلَّ الحُمَيْرَاءَ أوْ وَازَانَ أيَّاما
أو حَلَّ منْهمْ بأرْضِ الحَوْضِ، يَسْكُنُ فِي ... وَلَاتَ، فالنِّعْمَه فالوادَيْنِ أعْواما
أزْكَى سَلَامٍ يُغاديهمْ، يراوحهم ... يُقَبِّلُ الرأسَ، والأيْدِي، والأقْداما

فأجابه سيدي ولد آدب:

قلبي... لذكْر أحبَّاءٍ.. نأوْا.. هامَا ... بلْ كدْتُ.. مِنْ غيْرها.. لا أعْرفُ السَّاما
أحِبَّة.. منذ بانوا.. بنتُ عن جَلَدِي ... بل بنت.. عن جسدي.. شوقا.. وتهياما
لما نأوا.. أضرموا.. في أضْلعيَّ.. وفي ... قلبي.. وقُودَ سَعير الشوْق.. إضْراما

فقلْـتُ، والعـيْنُ لا تَرْقَـا مَـدَامِعها ... كـــأنَّ بـــالجَفْنِ عُـــوَّار وآلامـــا:
أحْبَـابُ، لا تُحْرِقُـوا قلْبًـا لـذِكْرِكِمُ ... مـا قَـطُّ حـوْلَ سُـلْوٍّ عَـنْكمُ حامـا
ولا اسْـــتَلَذَّ بمَلْـــذُوذٍ بُعَيْـــدَكمُ ... بـلْ لا يَـرَى لَـذَّةً فِي البَـيْنِ مَـا دامـا
يا ليْتَ شِـعْرِيَّ، هـلْ عـوْدٌ إلى زَمَـنٍ ... كُنَّـا بِـه نَحْسَـبُ الأعْـوامَ أيَّامـا
أيَّامَ لا الوصْـلُ مفْصـولٌ، وكـانَ لنَـا ... -ولا مُنَغِّصَ-، وَجْـهُ الـدهْرِ بَسَّـاما
حتَّـى نُزيـلَ، مـنَ أدْوَاءِ البِعَـادِ بِـهِ ... بالقُرْبِ، والوصْلِ، بعْدَ الفصْلِ، أسْقاما
أحْبَابُ، إنْ كنْتُ ذا نأْيٍ فليس عـلى ... هجْرٍ ولسْـتُ عـلَى الهِجْـرَانِ مِقْـدَاما
بل مـا سـلوتكمُ.. في نعمـة.. ولقـد ... يسلي- الأحبة- طيبُ العيْش أقوامـا
إذ لا نعيم.. كـآل الشـيخ سـيدنا الــ ... ـمختار.. من أوْضَـحَ الإبْهـامَ إلْهامـا
أزْكـي البَرِيَّـةِ أعْراقًـا.. وَأعْـدَلِهِمْ ... قَسْما.. وأفْضَلِ مَنْ صلَّى، وَمَنْ صـاما
بـلى، وأجـودهمْ كفًّـا، وأقْـدَمِهِمْ ... في الحرْب.. والسِّلْم.. أسيافا.. وأقلاما
ولسْـتُ أتْعَـبُ في تعْـدادِ فضْـلهمُ ... إذْ لا يُحِـيطُ بـه النُّظَّـامُ أنْظامـا
فـالله يَحْفَظُهـمْ مـن... ثـوَى ... مـنْهمْ، وَكَنْـكَ إلَى مَـنْ حَـلَّ كنْـداما
ومَنْ بكُوشٍ، ومَـنْ حَـلَّ الرَّكِيـزَ إلَى ... مَنْ فِي تكَانَـتْ، إلَى مَـنْ حَـلَّ ونْـدَاما
لاسِـيَّمَا مِـنْهُمُ مَـنَ فَـاقَ مَنْزِلَـةً ... أفْـقَ السَّـمَا وسَـمَا ... وبهْرامـا
محمَّـدٌ نُخْبَـةُ الأخْيَـارِ، سـيِّدنا ... مَن حَلَّ مـنْ كُـلِّ أسْمى مَجْـدٍ الهَامـا
هذا، وقلْبي بِكمْ، يَـا سَـيِّدِي، كَلِـفٌ ... قبْلَ الوُصُولِ وبَعْدَ الوصْـلِ أجْسـاما
لِقَاؤُكَ المُرْتَضَى، عِنْدِي المُنَـى، وَلَكَـمْ ... جَعَلْتُـهُ مـن... النَّـاسِ إلْجامـا
والله يَعْلَـمُ أنِّي بَعْـدَ مَعْـذِرَةٍ ... مِنِّـي، وبالحـالِ إشْـعارا، وإعْلامـا
لـوْلا المَسَـبَّةُ في شَـأْنِ العِيـالِ، وأنْ ... ألْقَى، بِتَرْكِيهِ، مِنْ ذِي العَرْشِ، آثامـا
وحَقُّ شَيْخَيَّ، مـعْ شـوْقِيهِمَا، عرَضًـا ... أتْمَمْتُ قصْدَكَ؛ أشْهَى القَصْدِ، إتمامـا
والآنَ، لا بُـدَّ لِي مِـنْ زَوْرَةٍ لهـمُ ... لأنْجِـزَ الوَعْـدَ إنْجَـازا وإلْمامـا

7- هذه القصيدة لم نجدها في مخطوطاتنا منسوبة لغير سيدي بن آدب، لكن صاحب الوسيط[1]، والدكتور محمد المختار بن أباه[2] نسباها إلى شاعر من إدابلحسن، اسمه المختار بن محمود الحسني، والقصائد المتعددة النسبة كثيرة، لا سيما في مثل هذه الفضاءات البدوية السائبة، لكن لغة القصيدة وأسلوبها شبيه بأسلوب سيدي ولد آدب، والبيئة التي يتحدث عنها أشبه ببيئته، وبإرجاع النظر فيها كرتين، هجس في خاطري، أن الأبيات التسعة عشر الأولى منها، لسيدي ولد آدب، حيث تنتهي عندها نسخ المخطوطات التي بأيدينا، وأن البقية ربما تكون تكملة من الشاعر الحسني: المختار بن محمود، إذ تَصَوَّرْتُ أنَّه قد أعجبتْه البداية، ورأى أن القصيدة توقفت قبل نهايتها المرغوبة، حيث انتهت فور تَخَلُّصِها إلى المديح، ولم تَجُرَّ فِيه رسَنها، كما ينْبَغي، وهذه التَّخَلُّصاتُ المقتضبة إلى المديح النَّبَويِّ، تعزز نسبة الشطر الأول لسيدي، لأنها رائجة في "أدبيات أهل آدب"[3]، وحتَّى الطابع الأسلوبي لاحظتُ أنَّه اخْتلف، بين المَقطع الذي افترضت أنه الأصْل "الآدبِّيِّ"، وبين المقطع الذي افترضت أنه التتمة "الحَسَنِيَّة"، وهذا هو الشطر الأول المنسوب عندنا لسيدي، قد وضعت برزخا بينه وبين تكملته:

---

[1]- أحمد بن الأمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، الشركة الدولية للطباعة – مصر ط5، 1422 هـ – 2002م، ص 341– 342.

[2] – الدكتور محمد المختار بن أباه: **الشعر والشعراء في موريتانيا**، مصدر سابق، ص 153– 155.

[3]- يتخلص الشيخ أحمد بن آدب:

وإنْ أسْعدتْ سُعْدى، وسُعْداكَ قـدْ قَلَـتْ فَبَحْـرَ النَّـدَى، نُـورَ الهُـدَى، البَـدْرَ، أَمَّـهُ

أبَانتهمْ - أَبِينتْ منْ جِمالِ ... وحادَ بها الحُداةُ إلى الضلالِ-
جِمالٌ غادرتْ هضْبَ الحُبَارَى ... قُبَيْلَ الصبْح مَسْلُوبَ الجَمالِ
علتْها كلُّ ناعمةٍ عَروبٍ ... مُفصّمَةِ الدَّمالِج والحِجَالِ
ومُحْصَنَةٍ تُرِي ضوْءً وجِيدًا ... وعيْنا، كالغَزَالةِ، والغَزَال
تُريكَ إذا تَثَنّتْ خَوْطَ بَانٍ ... يُجاذبُ عانِكًا منْ رمْلِ عَال
بأنْماطٍ عِتاقٍ فاخراتٍ ... أَنَالتْهُنَّ أثْمانٌ غوَال
فراقبْتُ الجِمالَ، ومَنْ عليها ... لدُنْ زالتْ بهنَّ إلى الزوال
يَخُضْنَ بِهَا بُحورَ الآل خوْضًا ... فهُنَّ سَفِينُها وهْيَ اللآلي
سلكْنَ السيْل لا مُتريِّثاتٍ ... حذارًا من مُعالَجَة الرمالِ
وقد جعلتْ غُوَّيْرَ السيْل عنها ... يَمِينا والنُجُود إلى الشمالِ
وكان لهنَّ ربْع الرَّعْيِ أمًّا ... فأنْجادُ المُعَكّنَةِ العوالي
فهَلْ تسْليكَ مِرْباعٌ أمُونٌ ... كأنَّ فُصوصَها حِرَفُ الجِبال
سبَنْدَاةٌ تَقاصَرَ عنْ قُواها ... وشِدّةِ نفْسِها دَرَكُ الكلال
قد أسْدَفَهَا من الجوْزاءِ جوْن ... تسُومُ تِلاعَه سُدَفَ الليالي
طَوَتْ من نشْره لقَحا عراضاً ... كسرّ الغمر أو سَرَرِ الهلال
كأنَّ قتُودَ راكبها إذا مَا ... تُدَفْدِفُ في المَهامِه كلَّ آل
على صعل، يُعارضُ ذات زف ... جموح، لاحه طلبُ المَنال
فدعْ ذا ما بهذا كنْتُ أسْلو ... وما شوْقي برَبَّات الحِجال
ولكنْ كانَ سلْوَاني وشوْقي ... لذكْر مُحمَّدٍ وله مَقالي

وإنْ نظرتْ حروفَ سُمَاه عيْني ... يغارُ- لما نظرْتُ بِها- قَذالي
كذا إنْ خطَّ أحْرُفَه يمِيني ... بقرْطاسٍ يَغارُ بها شمالي
كذاك الحب يحسد من به من ... من المحبوب خصص بالوصال

صـــلاةُ اللهّ خـالقَـنـــا عـــلى مـــن ... جـلَت أنـواره ســـدف الضـــلال
ومـــن أنـــواره خـــلق البـرايـــا ... ومـنهـم صـيـغ مـــن نـطـف زلال
وخـلّقـــه عـــلى خُـــلُق البـرايـــا ... ومنهـم صـبـغ مـــن نـطـف زلال
مـعـارفـــه تـــدِرُّ بـكل حـســـن ... ومـــن أنـــواره جُـمَـــلُ الجـمـال
تـبـــدى وجـهـــه بكـــمال ضـــوء ... تـضـاءل دونـه بـــدر الكـمـال
يـُجَـــلِّى بـــالإراك شـتيت ثـغـــر ... نـــقِـيّ اللـون أشـنَـب ذا خـلال
وَوَلاّهُ العَـــــلِيُّ عَـــــلِيَّ قـــــدر ... لـه شـمـلت مراتـب كـل عـــال
ووطـنـــه عـليـهـــا مـــا يـــراه ... مـثال الصبـح مـن طيـف الخيـال
فـلم يـعـجـز ولم يضـعف عـلى مـا ... تـحـمـله مـــن أعـبـاء ثـقـال
ولا في جـــد كفـــر في أنـــاس ... أجـادل فـــي مـناضـلة الجـدال
ولـــولا نـــزل القـــرآن مـنـــا ... عـلى رجـل مـــن القـنَـنِ الطـوال
فـــإن اللهّ أعـــلم حـيـث يـُؤْتِـي ... رسـَالتَـــه وأعْـــلَمُ بـالرجـــال
ويفـتـــح رحمـــة عمـت ولكـــن ... يـفـضـل مـــن يـشـاء ولا يـبـالي
فـــقام المصطـفـــى يـدعو ولاحـت ... مـصـابـيـح الهـدى ذات اشـتعال
فنالـــت أمـــه أم العطـــايا ... بـــأم الأرض فـــي أم الليـــالي
وكـم سـدت بـه مـــن آل سـعـد ... فـتـــاة فـاتـهـا أمـل النـوال
فجـاءتـــه تـــنوء بـهـــا أتـــانٌ ... تـشـكـى الايـنَ مـن فـرط الهـزال
فـعـــادة عُـــدّةً[1] للعـــود لمـــا ... غـدت للمصطفـى ذات احـتمال
فـاقـمـــر ليـلهـا بـعـد اسـوادٍ ... وايـسـرً حـالهـا فـي خـيـر حـال

[1]- لعله: أعَدَّتْ عُدَّةً.

8- قصيدة في أحد مُنْتَحِلي صِفَة "المهدوية"

لقد أكْحَلَ الأجْفـانَ.. منِّي.. بالسُّهْدِ ... وَهَيَّجَ أحْـــزانِي.. وأعْـدَمَنِي بـرْدِي
وتـيَّمَ قلْبـي.. عِنْـدمَا شـــاعَ هوْلُـه ... ضَلَالُ مُضِلٍّ.. يَدَّعِـــي أنَّـهُ المَهْـدِي
يُزَخْرِفُ.. زُورًا.. مـنْ أبَاطيـلِ قَوْلِـه ... يَغُرُّ بِه سُفْلَ الحَمَـاقَى.. ذَوِي الجَحْدِ
ويُظْهِرُ خـيْرًا للـوَرَى، وهْـوَ مُضْـمِرٌ ... شُرُورًا.. عِظَامًا.. والإلهُ.. لَهَا مُبْـدِي
فيا أيُّها النَّاسُ.. انْظُرُوا.. قـدْ دُهِيـتُمُ ... بِداهِيةٍ.. عُظْمَى.. بَوَائِقُهـا.. تُبْـدِي
أتَاكمْ.. مُضِلٌّ.. بالغِـوَايَةِ.. غَـالَكمْ ... إذَا لمْ تَـرُدُّوا بَغْيَـه.. أشْـــنَعَ الـرَّدِّ
ذلِيلٌ.. قلِيـلٌ.. أشْـعَلَ النَّـارَ.. فِتْنَـةً ... فيَالَكِ.. مِنْ نَـارٍ.. وُقِدْتِ.. بِـلا زَنْدِ
يقولُ: أنَا المَهْدِيُّ.. جَهْـلًا.. بوصْـفِه ... فهَلَّا نظَرْتُمْ فِي "صَـوَارِمَةِ المَهْـدِي"[1]
لغوْثِ الوَرَى مُبْدِي الحَقـائِقِ سَـيِّدِي ... مُحَمَّـدٍ المُعْـــلِي سَنَـــامَ ذُرَى المَجْـدِ

[1]- إحالة على عنوان كتاب للشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار.

رابعـــا

سيدي ولد آدب
الرسائل، والفتاوي، والأحكام*

1- فتح القهار في الرد على محمد لحوار

(كتب: 1302هـ- 20/ 10/ 1884م)

*- (قام برقنها ووضع بعض هوامشها أخي المرحوم: د.حم بن آدب)، وقد قمتُ أنا بضبط النصوص، وإضافة بعض الهوامش.

الصفحة 1، بخط المؤلف

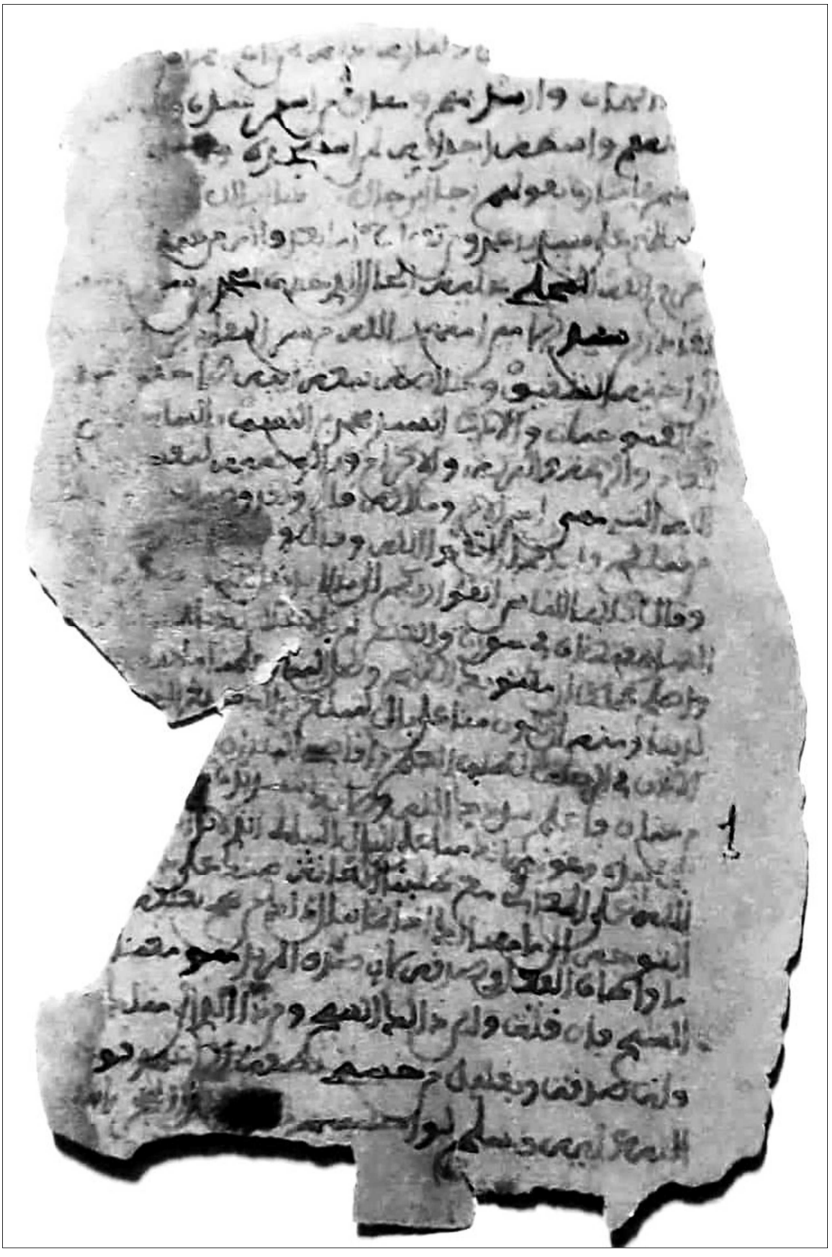

النهايات بخط المؤلف

(ص1)... أوليائه أدلة عرفان فمن اهتدىٰ.... وأرشدهمْ وهدَىٰ من اسْترْشَد... وجعلهم واسطةَ إجْدائِه لمن اسْتَجْداه... الإشارة بقولهم: رجالٌ برجالٍ، ورجالٌ بالله... سلام علىٰ سيدنا محمد ومن.. تقداه.

أما بعد، فإنَّه من عبد ربِّه المُتَحَلِّي بحِلْيَةِ الحال الذي حَلَّاه، محمد[1] بن سيدِّه عبد القادر[2] بن سيد الأمين[3]، أَمَّنَهُم اللهُ من شرِّ المَقادير....

إلى أخيه الشقيق، وخُلاصَةِ نبْعَةِ أبيه الأحْنَى الشفيق، ذِي الفُتُوحَاتِ والأدَب، السَّيِّد محمد[4] بن النَّسَب، بالسلام العام، والرحْمة والبَرَكة والإكْرام، وبالوَصِيَّة لنفْسي ولكَ بتقْوَى الله التي هي رأسُ الأمْر ومِلاكُه، قال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾[5] وقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[6] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾[7] إلى ما لا يدخل تحْت حصْر،... العمل بمُقْتَضاه في سورة العصْر، ثم بالإعْلام لكَ..... وأصْلَحَ عمَلَكَ أنَّ مَكْتُوبَكَ الكريمَ وَصَلَ إلَيْنا، فعلمنا ما فيه،... ومِنْهُ أنْ تكون مِنَّا على بَال، لتبْلَغ بذلك مَبْلَغَ الرِّجال،..... الإذْن في الرِّحْلَةِ لطلَبِ العِلْمِ من أقاصي البُلْدَان... من عنان.

فاعْلَمْ سدَّدَكَ الله وصانكَ بتسْديده... بتأييده، أنَّكَ منَّا عَلَى البال البَالِي، الذي لا...الله على المَعالي، معَ طلَبِنا الإعَانة منْكَ على ذلك... التوَجُّه إلى ما هُنالِك، إذ إنما يَنَالُ ذلكَ مَنْ صَحَّحَ تَعَلُّقَه.... ما واطَأَهُ الفِعْلُ وصَدَّقَه، لأنَّ صِدْقَ المُرِيدِ هو مغْناطيسُ الشيخ، فإنْ قلتَ: فأيْن ذلك الشيخ؟، ومن ذا الذي إلى مثلك..... قلتُ: صدقْتَ، وبقليلٍ من خِسَّتِي نَطَقْتَ، لكن اعْتَمِد قوْله صلَّى الله عليْه وسلَّم، لو أحْسَنْتُم..... الحجر لانتفعتمْ به.

---

[1]- يعنى نفسه وقد حذف من اسمه كلمة "سيد" لدلالتها التفخيمية تواضعا.

[2]- وقد اشتهر بلقبه "آدبّ".

[3]- سيد المين بن امحمد بن الطالب اعمر بن خيري، ت:1822م.

[4]- هو محمد لحوار شقيق المؤلف وقد حذف من اسمه اللقب "لحوار".

[5]- **قرآن كريم**، سورة النساء، الآية: 131.

[6]- **قرآن كريم**، سورة الطلاق، الآية: 2.

[7]- **قرآن كريم**، سورة الحج، الآية: 1.

(ص2)...من توَكَّل...اصْطِنَاعه إذا لا نرَاه ..... طلبكَ الإذْنَ في الرحْلةِ لطلَبِ العِلْم بالتصْريح، مع ما يُفْهَمُ منْ مَسِيرِك..... من فحْوَىٰ الكلام والتلْويح، فنِعْمَ - والله - مَا دَعَوْتَ إليْه، وعَظُمَ المَطْلوب الذي حَثَثْتَ عليْه، لأنَّه الكنْزُ الأكْبَر، وهو في هذا الزمان الكبْريتُ الأحْمَر؛ لأنَّه ممَّا لا يُنالُ بالتوَانِي، ولا يُدْرَك بالأمَانِي، وقد قِيلَ فيه: "العِلْمُ فَحْلٌ، ولا يَنَالُه إلَّا فُحُولَ الرِّجَال"، وَقيلَ: "العِلْمُ عزيزٌ إذَا أعْطَيْتَهُ كُلَّكَ أعْطَاكَ بَعْضَهُ، وإذا أعْطَيْتَه بعْضَكَ لمْ يُعْطِكَ شيْئا"، فمَنْ طلبَه للهِ وباللهِ حَصَلَ مِنْه..... المَرْغُوب وذلك كُلُّه بشرْطِ الت.....

(ص3) الله؛ أيْ مِنْ لَدُنْهُ عِلْمًا ..... النظَر والاسْتِدلال، وقال صلَّىٰ الله عليه وسلم: "من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثُه اللهُ عِلْمَ ما لمْ يَعْلَمْ"[1]، وفقَّهَه فيما يَعْمَلُ، حتىٰ يسْتوْجب الجَنَّة، ومَن لمْ يعملْ بما عَلِمَ تاهَ فِيما يَعْلَمُ، ولمْ يُوفَّق فيما يَعْمَلُ، حتىٰ يدخلَ النار، والعياذ بالله تعالىٰ". وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[2] قيل: يجعل له مَخْرجا من الإشكالات والشُّبَهِ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[3]؛ يُعَلِّمه علْمًا من غيْر تَعَلُّم، ويَرْزُقه فِطْنَةً من غيْر تجْرِبَة، وقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[4]، قيلَ: نُورٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِل، ويُخْرِجه من الشُّبُهَات، ولذلك أكْثَرَ رسولُ الله- صلىٰ الله عليه وسلم- في دُعائه من سؤال النور، فقال: "اللهم أعْطِني نورا، وزِدْني نورا،

---

[1]- أخرجه أبو نعيم في **الحلية** من حديث أنس بدون الزيادة التي ترد بعد الإحالة. انظر: السيوطي: **نواهد الأبكار وشواهد الأفكار**، ج3، جامعة أم القرىٰ، السعودية، 2005 م، ص 171.

[2]- **قرآن كريم**، سورة الطلاق، الآية: 2.

[3]- **قرآن كريم**، سورة الطلاق، الآية: 3.

[4]- **قرآن كريم**، سورة الأنفال، الآية: 29.

واجْعَلْ في قلبي نورا[1] .. حتى قال: "في شَعَرِي وَبَشَري ولحْمي ودَمِي[2]"، وسُئِلَ رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- عن قوْلِه تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[3]: ما هذا النور؟ قال: "هو التوسِعَةُ، إنّ النور إذا قُذِفَ في القلب اتَّسَعَ له الصدْرُ وانْشَرَح"، وقالَ- صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: "اللهم فقِّهْهُ في الدين، وعَلِّمْه التأويل"[4].

وقال علي- رضي الله عنه-: "ما عنْدنا شيء سرَّه النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنْ يُؤْتِي اللهُ للرَّجُلِ فهْمًا في كِتابه، وليس هذا بالتَّعَلُّمِ"، وَقِيلَ: إنَّ تفْسِيرَ قوْله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾[5]؛ إنَّه الفَهْمُ في كِتاب الله.

وكان أبو الدرّداء يقول: "المُؤمِنُ ينْظُرُ من وراءِ سِتْرٍ رقيق، والله إنَّه الحق يَقْذِفُه الله في قلوبهم، ويُجْرِيهِ على ألْسِنَتِهم"، وقال بعْضُ السلف: "ظنُّ المُؤمِن كَهَانَة[6]"، وقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فِرَاسَة المؤمنِ؛ فإنَّه ينظر بنُور الله"[7]،

---

[1]- في **شرح عمدة الفقه**، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي وهو دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية يرد الحديث برواية: (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً اللهم أعطني نوراً، وزدني نوراً).

[2]- هذه العبارات ترد في دعاء الإحرام: اللهم أحرم لك شعري وبشري ولحمي ودمي.

[3]- **قرآن كريم**، سورة الزمر، الآية: 22.

[4]- رواه البخاري وغيره.

[5]- **قرآن كريم**، سورة البقرة، الآية: 269.

[6]- جاء في **شرح نهج البلاغة** - لابن أبي الحديد (أبي حامد عز الدين بن هبة الله)، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - 1998م، ط 1، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ص 5528، "كان يقال ظن المؤمن كهانة وهو أثر جاء عن بعض السلف".

[7]- رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الترمذي: حديث حسن،

وإليه يُشيرُ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[1] وقوله: ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنّه قال: "العلم عِلْمان: فعِلْمٌ ظاهرٌ به المُعامَلاتُ، وعِلْمٌ باطنٌ في القلب، فذلك هو العِلْمُ النافع".

وسُئِلَ بعْض العُلماءِ عن العِلْمِ الباطن: مَا هو؟ قال: "هو سِرٌّ من أسْرار الله تعالى، يَقْذِفُه الله تعالى فِي قُلوبِ أحِبّائِه لم يُطْلِعْ عَلَيْهِ مَلَكًا وَلَا بَشَرًا؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ منْكم لُمحَدَّثين ومُكَلَّمِينَ، وإنَّ عُمَرَ منْهم"[3]، وقرأ ابنُ عباس: "وما أرْسَلْنا مِنْ قبْلِكَ منْ رَسُولٍ ولا نبي، ولا مُحَدَّث"[4].

(ص 4)..... هو الذي انكشفَ له في باطِن قلبِه من ضِياء..... والقرآن مِسْراحُ أرباب الهُدى، ومِفْتَاحُ الهداية..... ذلك علم من غير تَعَلُّمٍ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[5] خَصَّصَها بهم، وقال: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[6]، وكان أبو يزيد[7] وغيرُه يقول: ليْسَ العَالِمُ منْ يَحفَظُ، وإلا لصارَ جاهِلا، وإنَّما العالِمُ الذي يأخُذَ

---

[1]- **قرآن كريم**، سورة الحجر، الآية: 75.

[2]- **قرآن كريم**، سورة البقرة، الآية: 118.

[3]- في كتاب **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط 1، 1987 م، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ص 466، يقول المؤلف: "وقوله في عمر لو كان بعدي نبي لكان عمر ولو لم أبعث فيكم لبعث عمر... إن منكم لمحدثين ومكلمين وإن عمر منهم".

[4]- في كتاب: **الشيعة والقرآن**، لمؤلفه: إحسان إلهي ظهير الباكستاني المتوفى: 1407هـ، طبعة: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان. يقول المؤلف في ص 272، "تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب قال قرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث".

[5]- **قرآن كريم**، سورة يونس، الآية: 6.

[6]- **قرآن كريم**، سورة آل عمران، الآية: 138.

[7]- هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي متصوف عرف بشطحاته المشهورة، ت:261هـ.

عِلْمَهُ مِنْ رَبِّهِ؛ أيْ وَقْتَ شاءَ، بلا تَحْفيظ، ولا دَرْس، وهذا هو العالِمُ الرَّبَّاني، وإلى مِثْلِه الإشارةُ بقوْلِه تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1]، مَعَ انَّ كُلَّ عِلْمٍ منْ لَدُنْه، ولكن بعْضه بوَسَائِطِ تعْليم الخَلْق، ولا يُسَمَّى ذلك عِلْمًا لَدُنِّيًا، بل العِلْمُ اللدُنِّيُّ الذي ينْفتحُ مِن سِرِّ القلبِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مَألُوفٍ مِن خَارِج.

وبالجُمْلَةِ فالتَّقْوَى رَأسًا، والعِلْمُ الناشئُ عنْها إنَّما يُنالانِ بظَلْفِ النَّفْسِ عنْ شَهَوَاتِهَا ومَألُوفاتِها، مع الحَكَمَةِ عَلَيْهَا، واتِّهَامِهَا فِي مَنْهِيَاتِهَا ومَأمُوراتِها؛ إذ هي- كما قيل- كالدَّابَّة التي تُرَاضُ، أمَا تَرَى أنَّكَ إنْ ضيَّقْتَ عليْها بالحَكَمَةِ والزِّمَامِ والضَّرْبِ لانتْ فانْقادتْ إلى مُرَادِك، ووجدتَ منها السيْرَ الفَسِيح، وإذا تَرَكْتَها تتفسَّحُ في مَرَاتِعها حتى سَمِنَتْ ركضَتْ بكَ فألْقَتْكَ عنْ ظهْرِهَا سالما، أو مَيِّتا، أو معطوبا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "النفْس أخْبَثُ من سبْعِين شيْطانا"، وقالَ: "أعْدَى عَدُوٍّ لك نفْسُك التي بيْن جنْبَيْك"[2]؛ فلا تُجابُ إلى ما دعَتْ إليه، ولا تُسْتَنْصَح لِمَا منَ الخِدَاع جُبِلَتْ عليْه، فقد قال رأسُ الصِّدِّيقينَ - عليه وعلى نبينا السلام- تأسيسا لأصْلِ نفْيِ ائْتِمانِها بالاتِّهَام: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[3]، وقد عُلِمَ - ضَرُورَةً- أنَّ كلَّ خير[4] تحْتَ ما تهْوَى مَحْبُوءٌ، وللسلَفِ الصالِح- رضي الله عنهم- في مُكايَدتِها ومُخادعَتِها؛ لاتِّهَامِهِمْ إياها، في حركاتها وسكناتها- أخْبارٌ عَجيبةٌ، وحكايات غريبة، فمن ذلك ما حُكِي عن بعْض الفُضلاء: أنّه كان مُداوِما للتَّعَبُّد، مُثابرا على وُجوه الخير، ثمَّ وقَعَ في نفْسِه أنْ يَخْرُجَ إلى الجِهاد، فبقي مُتَحَيِّرا في أمْرِه، من كوْن الجهاد من أعْمال البِرِّ، والنفْس هي الآمِرَةُ بذلك، ومُحالٌ في أمْزِجَتِها أنْ تطلبَ الخيْر، أو تريدَه؛ فبَقِيَ مُتَّهِما لها فيما أمرتْ به، فلجَأَ إلى الله تعالى أنْ يُطْلِعَهُ على خَبِيئَةِ أمْرِهَا، فإذا بقائلٍ

---

[1]- **قرآن كريم**، سورة الكهف، الآية: 65.

[2]- حديث ضعيف: ذكره العجلوني في «**كشف الخفا**».

[3]- **قرآن كريم**، سورة يوسف، الآية: 53.

[4]- لعل الصواب: "شر" بدل خير، حسب ما يفيد سياق الكلام، ربما هناك سبق قلم.

يقولُ له: قد سَئِمَتْ من كثْرَةِ المَوْتِ، وتكْرَارِهَا بالْمُجَاهَدَةِ بالصيام والقيام، ويَئِسَتْ أنْ تسْتريحَ منْه، فأرادتْ أنْ تموتَ بمَرَّةٍ في الجهاد؛ لكيْ تستريحَ ممَّا هي فيه، ويحصلَ لها الثناءُ بعد الموت، فآلى على نفْسه أنْ لَا يَتغيرَ عنْ حالِه، أو يزيدَ عليْه حت يموتَ، فانظرْ إلى شدة خبثها ودقته، ..... الموت ولا فائدةَ لها فيه.

(ص5) وقليلٌ من تنَبَّه لهذا المعْنى الدقيق، إلا من عَصَمَهُ الله بالتوفيق.

وبتمْهيد ما ذكرْنا، معَ تَأمُّلِ ما سُطِرَ، يَظْهَرُ لكَ – أمَّدَك اللهُ وأيَّدَك– أنَّ آكدَ ما ترْغبُ فيه من العُلُومِ، وأنْجَدَ ما تتَّخِذُ بَرَكَتَهُ.... من المَنْقولِ والمَفْهُومِ، معْرِفَةُ الله تعالى، كما أرْشَدَ إلى ذلك.... الخليفة سيدى محمد[1] رضي الله عنه في "الجُنة" له[2]، إذ قال– مُفْتَتَحَ البَحْثِ الأوَّل، في التعريف بالأهَمّ فالأهَمّ؛ إذ قال رضي الله عنه: "اعْلَمْ أنَّ أهَمَّ العُلوم ما كان مُتَعَلَّقُـهُ ومَعْلُومُه أشْرَف وأعظمُ وأشْرفُ المَعْلومَاتِ – على الإطْلاق– هو الله تعالى، فمَعْرِفَتُه أشْرَفُ المَعارف، والعِلْمُ بحُقُوقِه، وما يَجِبُ له، أشْرَفُ العُلوم، ومَا سِوَى ذلك من العُلومِ فإنما شَرَفُهُ بكوْنِه مَعْرِفَةَ أفْعالِه، ومعْرفةَ الطريق التي تَقَرَّبُ إليهَا"، إلى أن قال رضي الله عنه: "وحيث كانَ الأهمّ معْرفة الله، ولا سبيلَ إليْها إلا بتهْذيبِ النَّفْس، كانَ الأهَمّ تهْذِيبها بنسْخ أوْصافِها الدنِيئة، وصقْل البَصيرةِ، التي هي عيْن القلْب"، إلى أنْ قال– رضي الله عنه: "وسِرُّ هذا الصِّقال ضبْطُ أحْوَالِ النفْس من خَواطِرَها وهواجِسِها، واسْتِقامَة حرَكاتِ البَدَنِ بتنْقيح الأعْمال، وتوْفِيتِها ما يَجِبُ لها من الشُّروطِ والآدابِ عبودية لله تعالى، لا لطلَبِ حَظٍّ عاجِل، ولا لثَوَابٍ آجِل، وضبْطُ الأحْوال هو أنْ تكونَ سالمةً من العِلَل والدَّعاوى، ومَوْسومة با ...

(ص 6)..... معْرفة الله عزَّ وجَلَّ، التي هي أهَمُّ العُلوم على الإطلاق، وللواسطةِ حكْمُ المَوْسُوط". انتهى.

---

[1] – هو الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي ت: 1244هـ.

[2] – يعني كتاب **"جُنَّة المُريد دون المَريد"**، الذي ألفه للشيخ سيدي بن المختار الهيبة.

مع أنّا لو تَتَبَّعْنا أدِلَّةَ مَا أَشَرْنا إليه شرْعا وعقْلا لخَرَجْنا عن حد الاختصار، ولكن فيما ذكرْنَا كفايةٌ لَمَنْ أنْصفَ ونَظَرَ نَظَرَ اسْتِبْصار، فإذَا تقرَّرَ هذا عِنْدَكَ- أيَّدَكَ اللهُ وأرْشَدَكَ- عَلِمْتَ أنَّ العِلْمَ مَرْغُوبٌ فيه، مع وُجُوبِ طَلَبِهِ من العاقِل والنبيه، لكن أيْنَ سُحْنُون؟[1]، كما قالَ المَجْنُون، إذ لا بُدَّ للطريق من دَلِيلٍ ماهرٍ وإمام، وأوَّلُ ما يُعامَل به الأستاذُ الانْقيادُ لأمْرِه والاسْتِسْلام، و"الرَّعِيَّةُ على دِينِ المَلِكِ" خَطأ أوْ صَوَاب؛ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[2]، وقد عَلِمْتَ أنَّ مَن اتَّصَلَ بوَاصِلٍ وَصَل، وأنَّ مَن اتَّصَلَ بمُنْقَطِعٍ بانَ وانْفَصَل، إذِ "العَالِمُ -كما في الحَديثِ -كالسفينة، إنْ صَلحتْ نَجَتْ وأنْجَت، وإنْ فسَدتْ هلكتْ وأهْلَكَت":

أنــتَ القتيــلُ بــأيِّ مــنْ أحْبَبْتــه فانْظرْ لنَفْسِكَ في الهَوَى مَنْ تَصْطَفِي[3]

فانْظرْ- أَلْهَمَكَ اللهُ الصواب، ووقاكَ مُوجِبَ الحَيْرَةِ والارْتِياب - مَن تَتَعَلَّقُ به، وتعملُ الرِّحْلة إليه، مع أنِّي لم أطَّلِعْ - فيما بلغْتُ من البلاد، أو أخْبِرْتُ عنْه- عليه، إذِ المَطْلوبُ من العِلْمِ العَمَلُ؛ ولذلك حَدُّوا الصُّوفِيَّ - الذي هو أعْلَى رُتْبَةً منَ الفقيه- بأنّه عالِمٌ عمِلَ بعِلْمِهِ، على وجْه الإخْلاص، لا غيْر، وغايةُ ما يَطْلبُه القوْمُ من تلامذتهمْ- بالْمُجاهدَة بالصوْم والسهَرِ والخلْوَة والصَّمْت والورَع والزهْد، وغير ذلك من أنواع الرياضة- أنْ يصيرَ أحَدُهُمْ يأتِي العِبادَةَ على الوجْهِ الذِي يُشْبِهُ ما كانَ عليْه سَلَفُهُمْ الصَّالِحُ، لا غيْر، ومِنْ ثَمَّ وُصِفَ العِلْمُ النافعُ بأنَّه الذِي يَنْبَسِطُ في الصَّدْرِ شُعَاعُه، ويُنْكشِفُ بهِ عن القلْب قِنَاعُه.

---

[1]- يشير بذلك إلى قصة تروي أن سيدا صالحا يسمى سحنون كان يرقي المجانين بكلمات قليلة سمعها شخص آخر فحفظها ورقى بها مجنونا فلم تعط نتيجة، فسأل لماذا نفس الكلمات تشفي عندما يستخدمها سحنون ولا تؤثر إذا استخدمها هو؟ فقال له المجنون الذي رقاه: **ينقصك فَمُ سحنون**. فأصبح فم سحنون مثلا يضرب لأي شيء ينقصه السبب الذي يؤثر به.

[2]- **قرآن كريم**، سورة البقرة، الآية: 166.

[3]- البيت لعمر ابن الفارض.

قال الهروي[1] رضي الله عنه: "العِلْمُ النَّافِعُ هو عِلْمُ الوَقْتِ، وصَفَاءُ القلب والزُّهْدِ.

(ص 7) في..... النفوس وطهارتها، وهو النورُ المُشارُ إليْه..... في قلْبِ مَن يَشاءُ، دونَ عِلْمِ اللِّسانِ والمَعْقول والمَنْقُول.... مالك بن أنس رحمه الله: "لَيْس العِلْمُ بِكَثْرةِ الرِّوَايَاتِ، وإنَّما هو نُورٌ يَقْذِفُه الله تعالىٰ في القُلوبِ"، انتهىٰ.

وإنما مَنْفَعَةُ العِلْمِ أنْ يُقَرِّبَ العبْدَ من رَبِّه، ويُبْعِدَهُ مِنْ رُؤْيَةِ نفْسِه، وذلك غايَةُ سَعَادَتِه ومُنْتَهَىٰ طلبِه، وإرَادَتِه.

وقال الجنيد[2] رضي الله عنه: "العِلْمُ أنْ تعْرِفَ رَبَّكَ، وَلَا تعْدُو قدْرَكَ"، فالعلماءُ اليوْمَ مَفْقُودُونَ مَعْنًىٰ، وإنْ وُجِدوا حِسًّا، بل العِلْمُ نفْسُه مَعدومٌ سوىٰ ما نبَّهْنا عليه رأسًا، وقد استعاذَ صلىٰ الله عليه وسلم من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ويَكْفي في بيان ذلك، والاستشهاد له قصْرُ صفةِ العِلْمِ علىٰ مَن يخْشىٰ اللهَ في آية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3] فكلُّ عِلْمٍ لا خَشْيَةَ مَعَهُ، لا خيْرَ فيه، بل لا يُسَمَّىٰ صاحبُه عالما علىٰ الحقيقة، قال الربيع بن أنس[4] رضي الله عنه- في معنىٰ الآية-: "من لمْ يخْشَ اللهَ فليس بعالمٍ، ألَا تَرَىٰ أنَّ داوود- عليْه السلام- قالَ: ذلك بأنَّكَ جَعَلْتَ العِلْمَ خشْيتَكَ، والحِكْمَةَ الإيمانَ بكَ، فمَا عِلْمُ مَنْ لمْ يَخْشَكَ؟ ومَا حِكْمَةُ مَنْ لمْ يُؤْمِنْ بك؟".

---

[1]- هو أبو إسماعيل الهروي عبد الله بن محمد الصوفي الحنبلي له كتاب (**منازل السائرين إلى رب العالمين**)، ت:481.

[2]- أبو القاسم الجنيد البغدادي، صوفي مشهور، ت297هـ.

[3]- **قرآن كريم**، سورة فاطر، الآية: 28.

[4]- الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي بصري، وكان عالم مرو في زمانه وقد روىٰ الليث عن عبيد الله بن زحر عنه ولقيه سفيان الثوري، وحديثه في السنن الأربعة ت139هـ.

قال ابنُ عطاء الله[1]، في "لطائف المِنَن":

(ص 8) "فشاهِدُ العِلْمِ الذي هو مَطْلوبُ الله الخَشْيَةُ، وشَاهِدُ الخَشْيَةِ مُوَافَقَةُ الأمْرِ، أمَّا عِلْمٌ تكونُ مَعَهُ الرغْبةُ في الدُّنْيَا والتمَلُّقُ لأرْبَابِها، وصرْفُ الهِمَّةِ لاكتِسابِها، والجمْع والادِّخَارُ والمُبَاهَاةُ والإكْثارُ، وطُولُ الأمَلِ، ونسْيانُ الآخِرَةِ، فما أبْعَدَ مَنْ هذا العِلْمُ عِلْمُه أنْ يكونَ من وَرَثَةِ الأنْبِيَاءِ! وهل يَنْتَقِلُ الشيْءُ المَوْرُوثُ إلَى الوارِثِ إلَّا بالصِّفَةِ التي كانَ عليْها عنْدَ المَوْرُوثِ عنْه"[2].

وكان سهل بن عبد الله[3] رضي الله عنه يقول: "لا تقْطعُوا أمْرا منَ الدِّين والدُّنْيا إلَّا بعْدَ مَشُورَةِ العُلَمَاءِ تَحْمدوا العاقِبَةَ عند الله"، قيل: يا أبا محمد، مَنِ العُلَمَاءُ؟ قال: الذين يؤْثِرُونَ الآخِرَةَ علىٰ الدُّنْيا، ويُؤْثِرُونَ الله - عزَّ وجلَّ- علىٰ أنْفُسِهِمْ".

وقال الشيخ أبو عبد الله السلمي[4] رضي الله عنه: "كلُّ عِلْمٍ لا يُورِثُ صاحبَه الخشْيةَ والتواضعَ والنصيحةَ للخَلْقِ، والشفقةَ عليْهم، ولا يَحْمِلُه علىٰ حُسْنِ مُعامَلةِ الله، ودَوَامِ مُرَاقبَتِه، وطلَبِ الحَلال، وحفْظِ الجوارح، وأداءِ الأمانةِ ومُخَالَفَةِ النفْس، ومُبَايَنَةِ الشهَوَاتِ، فذلك العِلْمُ الذي لا يَنْفَعُ، وهو الذي استعاذَ منه النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: "يأتي علىٰ الناس زمانٌ لا يبْقىٰ من القرآنِ إلا رسْمه، ولا من الإسلامِ.

---

[1]- ابن عطاء الله السَكندري أحمد بن محمد بن عبد الكريم ت 709هـ.

[2]- انظر: ابن عطاء الله السكندري: **لطائف المنن**، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص 35.

[3]- هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، الصوفي الزاهد، لقي ذا النون المصري وصحبه، وله كلمات ومواعظ، ت:283هـ.

[4]- هو محمد بن سلاَّم بن الفرج الإمام الحافظ، أبو عبد الله السُّلَمي مولاهم البخاري، رأىٰ مالك بن أنس ولم يتفق له السماع منه، روىٰ عن أبي الأحوص سلام بن سليم وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد وطائفة، وروي عنه جماعة، ت:225هـ.

(ص9) إلا اسمه، قلوبُهم خَرِبَةٌ من الهُدىٰ، ومساجدهم عامرةٌ من أبدانِهم؛ شرّ منْ تُظِلُّ السماءُ يومَئِذٍ علماؤُهمْ، منْهم تخرجُ الفِتْنة، وعليْهم تعود" اهـ.

فمَن نظرَ بعيْن بَصِيرَتِه وجَدَ ما ذُكِرَ لازِمًا لعُلَمَاءِ الزَّمَنِ اليوْمَ مَعَ أنَّ المُتَصَدِّرينَ منهم لتلك الرتْبةِ جاعلونَ العِلْمَ وسيلةً إلىٰ النَّجَاةِ، ولا يَلْتَفِتُونَ إلَىٰ أنَّ "أشَدَّ النَّاسِ عذابًا- يوْم القِيَامَةِ- عالِمٌ لم ينْفعْه اللهُ بعِلْمِهِ"، وعَدَمُ النَّفْعِ به هو ترْكُ العَمَلِ به، ولم تتفاوتْ مَراتبُ عُلماءِ السلَفِ، مع عَلَماءِ الخَلَفِ، في الوُصُول إلَىٰ هذه الرُّتْبَة -في الجُملَةِ- إلَّا لتفاوُتهمْ في العَزيمةِ علىٰ أخْذِهمْ بهذا الشرْطِ خاصة، ومن أجْلِ ترْكِ كثيرٍ منهمْ لشرْطِ العَمَلِ بعِلْمِهِم تُفُوِّقتْ إليْهم سِهامُ النَّقْدِ وانْطلقتْ فيهمْ ألْسِنَةُ العُتْبِ.

وأبُو حامد[1]- رحمه الله- من أشدِّهم مُبالغةً حتىٰ أنَّه جعلَ فقْهَ الفُروع والأحْكام من عُلومِ الدُّنْيا، وإنَّما ذلك لِمَا رأىٰ من أهْلِ زَمانِه من طلَبِهم الدُّنْيَا مِنَ المالِ والجاهِ، ورفْعِ الصِّيتِ، بعِلْمِ الفُروع، والجَدَل، وعلوم الأدب، ممَّا يقْتَضِي الظُّهُورَ علىٰ الخُصوم، والغَلَبَةَ في المُناظَرَة، فلو أخَذوا العِلْمَ بشرْطِه؛ يعْني العَمَلَ بما عَلِمُوا، لكانُوا همُ الأوْلياءُ حقا، ولنالوا (ص 10) ما نالَهُ أوْلياءَ الله الذين لا خوْف عليهم ولا هم يحزنون، قال هذا رضي الله عنه في زمَنِه الصالح، فما ظنُّكَ بزمَنِنَا؟

وكان الثوْرِيُّ[2] - رضي الله عنه- يقول لأهْلِ العِلْمِ الظاهِر: "طلَبُ هذا ليس من زادِ الآخرة"، وكان يقول: "لولا أنَّ للشيطان فيه نصيبًا ما ازْدَحَمْتم عليه"؛ يعني العِلْمَ.

ومن كلام ابن عطاء الله رضي الله عنه: "كلُّ عِلْمٍ تَسْبقُ إليكَ فيه الخواطرُ، وتَتْبَعُها الصورُ، وتميلُ إليه النفْسُ، وتلتذُّ به الطبيعةُ، فارْمِ به، وإنْ كان حَقًّا".

---

[1]- يعني حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت:505هـ.

[2]- هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، ت:161هـ.

وقد أوْجَبُوا علَىٰ المُعَلِّمِ أنْ يحْرِصَ علىٰ مُخالَفَةِ نفْسِه في ما تدعوهُ إليه، من إدامة التعليم؛ لأنَّ كلَّ ما تَسْتَحْلِيهِ النفْسُ - وتلتذُّ به الطبيعةُ، ويُوافقَ غرَضَها- مَصْحُوبٌ بالآفات والعِلل، التي تقدحُ في الإخْلاص، وإخْلاصُ الأعْمَال شرْطُ وُجودِ القبول وعنْدَ ذلك يذهب عملُه باطلا، ولا ينالُ بِنَصَبِه طائلا، ولقد بكىٰ إمامُ دار الهجرة؛ مالك رضي الله عنه، وحَزِنَ علىٰ ما فرَطَ منْه من الكلام في المَسائل، فعَل ذلك رضي الله عنه فيما كان آخذا فيه من المَسائلِ المُحَقَّقَةِ المَبْنِيَّةِ علَىٰ أصولٍ صحيحةٍ، غير مُلَفَّقَةٍ، فمَا الظنُّ بما انتشرَ بعْدَه من الهَذَيَان الذي صارَ- بحُكم العَادَةِ، واقْتَضاءِ العَصَبِيَّةِ، (ص11) وتَمَالُؤ النَّاسِ علىٰ الضلال، وتقليدِ الجُهَّال- دِينًا قوِيمًا، وصِراطًا مُسْتَقِيمًا، وقال..... رضي الله عنه: ذُكِرَ طلبُ العِلْمِ عنْد مالك بن أنس رضي الله عنه؛ فقال: "إنَّ طلَبَه لحَسَنٌ، إنْ صحَّتِ النيةُ، ولكن انْظرْ ماذا يَلْزَمُكَ من حِينِ تُصْبِحُ إلىٰ حِين تُمْسِي، ومن حين تُمْسِي إلَىٰ حينَ تُصبحُ، فلا تُؤْثِرَن عليه شيئا"، فافهمْ، وقد قال عيسىٰ عليه السلام: "ما أكْثَرُ العُلومَ - وليْس كلّها- بِنافِعٍ، وما أكْثرُ العُلماءِ - وليس كلُّهم- برشيدٍ".

وكان الحسن البصري[1] يقول: "لا تَسْكُنْ مع من يجْمعُ عِلْمَ العُلماء، ويجْري في العِلْمِ مجْرىٰ السُّفَهاءِ"، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: "لو أنَّ هؤلاء القرَّاءَ أحْياءٌ لوَجَدُوا ألَمَ النار في بُطونهمْ، إذا أكلوا الحرامَ، ولكنَّهم أمْوَات يَرْتَعُونَ في جِيفةِ النَّارِ".

هذا قول أولُّ مُجَدِّدٍ بعْد رسولِ الله صلّىٰ الله عليْه وسَلَّمَ في المِئَةِ الأولىٰ من الهجرة في فقهاء زَمَنِه، فما ظنُّكَ بمُتَفَقِّهَتِنَا اليوْم؛ مُفْتَتَحَ العام **الثاني بعْد ثلاثمائة وألف**[2]، وقد قال صلىٰ الله عليه وسلم: "ما من يوْم إلا والذي بعْده شرٌّ منْه"!.

---

[1]- الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري: روىٰ عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وسمرة وابن عباس وغيرهم، روىٰ عنه أيوب وشيبان النحوي ويونس بن عبيد وغيرهم، ت:110هـ.

[2]- يوافق ذلك بالتقويم الميلادي: 20/ 10/ 1884.

(ص12) وكان منصور بن المُعْتمر[1] يقول لفقهاء زمانه: "إنكمْ لستمْ علماءَ، وإنما أنتمْ مُتَلَذَّذُونَ بالعِلْمِ، يسْمعُ أحدُكمْ المَسْألةَ، فيُخْبِرُ بها النَّاسَ، ولو أنَّكمْ عَمِلتمْ بعِلْمكمْ لتجَرَّعْتمْ المَرارَاتِ والغُصَصَ، ولحثَّكمْ علمُكم على الورَعِ، حتى لا يجدَ أحدُكم رغيفا يأكلُه".

وكانَ الأعْمَش[2] يقول: "لي نحْو العشرين سنةً ما رأيتُ عالِمًا مُخْلِصًا في عمَلِه، إنَّما صارَ العِلْمُ حِرْفَةً للمَفاليسِ".

وكانَ أبو حازم[3] يقول: "لقد رضي أهْل زماننا هذا بالكلامِ، وترَكوا العمَلَ، وقد كانَ السَّلَفُ يفْعَلُونَ ولا يقولون، ثم صارُوا اليوْم يقولون، ولا يفعلون، وسيأتي زمانٌ لا يقولون فيه ولا يفعلون".

وقال مالك بن مِغْوَل[4]: "سُئلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناس شرّ؟ قال: "العلماءُ إذا فسدوا".

وقال محمد بن سيرين[5]: "ذهَبَ العُلماءُ ولمْ يبْقَ من أعْمَالِهِمْ إلا عباراتٌ في أوْعِية سُوءٍ".

وسُئِلَ الإمامُ مالك بن أنس رحمه الله عن الراسخين في العلم: مَنْ همْ؟ فقال:

"همْ العامِلُون بِهِ، المُتَّبِعُونَ لآثار مَنْ قبْلَهُم".

---

[1]- منصور بن المُعْتَمِر بن عبد الله بن ربيعة أبو عَتَّاب السلمي الكوفي الحافظ: روى عن ربعي بن حراش وأبي وائل وإبراهيم النخعي وأبي حازم الأشجعي وسعيد بن جبير والحكم ابن عتيبة وآخرين. روى عنه شعبة بن الحجاج وحصين بن عبد الرحمن والسفيانان، ت: 132هـ.

[2]- هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش كان محدث الكوفة في زمانه، ت148هـ بالكوفة.

[3]- أبو حازم هو: سلمة بن دينار الأعرج من صغار التابعين ثقة من الزهاد تولى قضاء المدينة.

[4]- أبو عبد الله، مالك بن مِغْوَل الكوفي، ثقة، ثبت، ت:159هـ.

[5]- بصري تابعي اشتهر بتفسير الأحلام، ت:110هـ.

(ص13) وَكان عبد الله بن عمر يقول للعلماءِ: لقدْ شنَّعْتُمْ هذا العِلْمَ، فأذْهَبْتمْ قدْرَه"، ثم يقول: "والله لو رأىٰ عمر بن الخطاب أحَدًا مِثْلِي، وهو يحَدِّثُكمْ، لأوْجَعَنِي وإيَّاكمْ ضرْبًا".

وقد روي أنَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: "أكْثرُ مُنَافِقِي أمَّتي قراؤها".

وكان وهب[1] يقول: "كانَ في بنِىٰ إسْرَائيلَ قُرَّاء فسَقَة، وسيكونُ في هذه الأمَّةِ قرَّاءُ فسقة".

وفىٰ الحديث: "سيأتي علىٰ أمّتي زمانٌ يكونُ سماعكمْ باسْم الرَّجُل خيْرٌ من أنْ تلْقَوْهُ، ولو لقيتمُوهَ خيْرٌ من أنْ تُجَرِّبُوهُ؛ فإنكم إنْ جرَّبْتُمُوه أبْغَضْتُمُوهُ وأبْغَضْتُمْ عمَلَه."اهـ.

وإنما جلبتُ لك ما جلبتُ، في مُتَفَقِّهَةِ الزمَنِ دونَ مُتَصَوِّفَتِهِ حرْصا علىٰ مُطَابَقَةِ مَكْتُوبِكِ ومُوَافقتِه، مَعَ أنِّىٰ أفْرَدْتُ فيهمْ تأليفا دعْوْتُه: "فتح الجليل في الرَّدِّ علىٰ الدجاجيل"، فلْيُطالعْه من أرادَ الفرْقَ بيْن أرْبَابِ الدعْوىٰ، ومَشايخ الحق أهْل التقْوىٰ.

وقد جمحَ بنا جَوادُ الفكْرِ في هذا الميدان، حرْصا علىٰ بيان شُبَهِ أهْل الزَّمَان، لئلا يَغْتَرَّ بشعْوَذِتهمْ الجاهلُ، ويَتيه في غُرُورِ بَهْرَجَتِهمْ، (ص14) الغافل؛ إذْ لا ينالُ التابعُ إلا حظَّ المتْبوع، ولا ينتفعُ من هؤلاءِ مُنتفع، ولا مُنْفوع، كيف وهمُ المَنْعوتون – هم وأتباعهم– بقوله صلىٰ الله عليه وسلم: "يخرج في آخر الزمان رجالٌ يَخْتلونَ الدنْيا بالدين، يلبسون للناس جُلودَ الضأن من اللين، ألسنتُهم أحْلىٰ من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الحنْظل، يقول الله تبارك وتعالىٰ: أبِي تَغْتَرُّون؟ أم عليَّ

[1]– هو وهب بن منبه بن كَامِل، وهو الأسوار اليماني الصنعاني الذِّماري، من أشهر مراجع الاسرائليات: 114هـ.

تَجْتَرِئون؟ فبِي حلفْتُ لأَبعثنَّ علىٰ أولئك فتْنةً تدَعُ الحليمَ منهم حيْران"[1]، رواه عنه أبو هريرة، فكيف يَصحُّ – من العاقل– الاقتداءُ بمثل هؤلاء؟ أو طلَبُ الوصول إلىٰ الله بهم؟ بعْدما سمعَ قولَه تعالىٰ، بعْد أنْ نعَت منْ يَتَأَتَّىٰ منهم ذلك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[2]؛ فلم يأمر تبارك وتعالىٰ بالاقتداء بهم إلا بعْد إعلامِه أنَّهم مُهْتدُون في أنْفُسِهم، وقال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3].

وقال الترمذي[4] رضي الله عنه: "سمعت جدي يقول: سمعتُ أبا عثمان[5] يقول: من أمَّرَ السنةَ علىٰ نفْسِه قوْلا وفعْلا نطقَ بالحِكْمَةِ، ومَنْ أمَّرَ الهَوَىٰ علىٰ نفْسِه قوْلا وفعْلا نطقَ بالبِدْعَةِ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قال: (وان تطيعوه تهتدوا)؛ فالهِدايةُ إذنْ مَشْرُوطة باتِّبَاعِه صلىٰ الله عليه وسلم، فكُلَّما وُجِدَ الاتِّبَاعُ الكاملُ وُجِدَتِ الهدايةُ التامَّةُ، وكُلَّما نقصَ الاتِّباعُ نقصتِ الهدايةُ"، فافْهمْ وتنبَّه، تُمَيِّزْ بين من تزيَّىٰ بالحقيقة ومن تشبَّه، والمِعْيارُ كتابُ الله وسنةُ رسوله.

قال ابنُ عطاء الله في الأخذ من آية ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾[6]: "صاحبٌ من ترىٰ عليه آثارَ أنْوارِ خِدْمَتِي".

---

[1]– روىٰ الترمذي عن أبىٰ هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىٰ مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا".

[2]– **قرآن كريم**، سورة الأنعام، الآية: 90.

[3]– **قرآن كريم**، سورة آل عمران، الآية: 31.

[4]– المحدث المعروف صاحب السنن.

[5]– هو المحدث أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابوري الحيري الصوفي، ت:298هـ، هو الذي تنسب إليه هذه المقولة في كثير من المصادر.

[6]– **قرآن كريم**، سورة لقمان، الآية: 15.

وقال: "منْ لمْ يعرفْ الطريقَ إلى ربِّه فليَتَّبِعْ آثارَ الصالحِينَ؛ (ص15) لِتُوصِلَه بركةُ مُتابَعَتِهم إلى طريق الحق؛ فإنَّ بَرَكة اتِّبَاعِ الصالحينَ نفعتْ كلبَ أصْحاب الكهْف، حتى ذكرَهُ الله في كِتابِه، وأخْلَدَ ذكْرَه في الغابِرين، قال صلى الله عليه وسلم: "هم القوْم لا يشْقى جليسُهم".

وبالجُمْلةِ، فكما يُنْتَفَعُ بصُحْبَة هؤلاء، ومُتابعَتِهم، يُتَضَرَّرُ بصُحْبَةِ أولئك ومُجالسَتِهم، فإنْ قلتَ: إنَّك مِمَّنْ صَحَّتْ نِيَّتُه، ولمْ تَتَّهِمْ نفْسَكَ، ولا تريدُ إلا أخْذَ مُجَرَّدِ العِلْمِ عمَّنْ لقيتَ منْهمْ، معَ مُتارَكَتِه على ما هو عليْه من قبيحِ عمَلِه؛ قلتُ: قد تقدَّمَ جوابُ ذلك من آفاتَ عدَمِ اتِّهام النفْس مختَصرًا، سيما في حال الطَّلَبَةِ مثلك؛ إذْ أعْظمُ الوَبَالِ عليهمْ اغْتِرارُهم بحالِهم، واسْتحَسانُهم لسَيِّئِ أعْمَالِهِمْ، واعتقادُهم أنَّهم سالكونَ طريقَ النجاة في الدار الآخرة، ونيْل الثوابِ فيها، وأنَّهم هم الذين حازوا الرُّتَبَ الشريفة، والمَناقِبَ المُنيفة، التي اختصَّ بنيْلِها العلماءُ الذين هم ورَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وليْس عنْدَهمْ – من المَعْرِفَةِ وعِلْمِ التحْقيق– ما يَخْرُجُون به من هذا الغُرُور، لأنَّهُم لمْ يسْلُكوا طريقَ ذلك، ولمْ يهْتدوا لما هنالك، فهذا هو الفسادُ الذي يختصُّ به هؤلاء، ولا يُشاركهم فيه غيرُهم. اهـ.

وقد قال شيخُنا سيدي محمد رضي الله عنه، بعد أنْ أطالَ النَّفَسَ في نعْتِ عُلماء السُّوء وأتْبَاعِهم: "ومن دقيق ما يسري عنْهم من الفساد، من غيْر قصْد منهم لذلك، وقوع الاغترار، للجهلة والأغمار، بشاهِدِ حالِهِمْ، فإنَّهم يشاهدونَ، ممَّا قد حازوا، من رُتَبِ الدنيا ما أرادوه، ويُوهِمُونَهم أنَّهم نالوا شرَفَ الآخرة بما أفادُوه، واسْتفادوه، فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلَبِ العِلْمِ، إنْ كانوا ممَّنْ فيه قابليةُ ذلك، فيقعُون فيما يقعُ أولئك فيه من المهالك، ويؤديهم ذلك إلى مَحَبَّتِهم ومُوَالاتِهم ..

(ص 16) فيَطمَعُونَ فِيهم، ويطيعونهم في أوامرهم ونواهيهم، فيخرج بهم استحسانُ حالهم إلى الداء الدفين، وهو مُسارَقة طبَاعهم الدّنِيَّة، وأخْلاقهم الردية". إلى آخر كلامه رضي الله عنه، مما يضيقُ عنْه هذا المَكْتُوب، فانظرْ

- أرشدَك اللهُ - وتأمّل فيما جُلِب، تجدْه - على اختِصارِه وحذْف أكثره- مُشْتَمِلا على الكِفايةِ فيما إلينا - مِن جِهَتِكَ- كُتِب، فإذا تقَرَّرَ عِنْدَكَ مَبْناهُ وتحقَّق، وفهم معناه وصدِّق، فاعْلمْ أنَّه لا أصْدَع في فصِّ مَطْلُوبِك، وَلا أمْتَع في نَصِّ مَكْتُوبك، ممَّا تراجعَ فيه إماما الأكْبَران، وقدْوَتانا الأشْهران: شيخُنا الكبيرُ سيدى المختار بن أحمد، وابنه شيخنا الخليفة سيدى محمد، إذ كان كاتَبَه في طلبِ العِلْمِ؛ فأجَابَه رضي الله عنه - بعد الحمد لله والثناء عليه بما هو أهله- كما في الطرائف والتلائد: "أمَّا بعْد؛ فإنَّ الله تعالى هو الفتَّاح العَليمُ، وإنَّ النُّقْلَة والتغرُّب في طَلَبِ العِلْمِ، من فُرُوض الإسلام وآدابه، وممَّا جرى عليه عمَلُ السَّلَفِ، قال صلى الله عليه وسلم: "اطلُبُوا العِلْمَ ولو بالصِّين"، وقالَ: "طلبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مُسْلِم"، وأجْمعَ العلماءُ على وُجُوبِ الهجْرَةِ من أرْض لا يَتَمَكَّنُ المَرْءُ فيها من إقامَةِ دِينِه، ولا يتوصَّلُ إلى ما يجبُ عليْه عيْنا؛ إلى موْضِعٍ يَغلبُ على ظنِّه إقامةُ الدين فيه، وتحْصيل ما يجب عليه عيْنا، فإنْ كنْتَ تعْرِفُ موْضِعًا هو أصْلَحُ لدِينك، وأمْكنُ لتحْصيل فرْض عيْنِك، فاخْرجْ إليْه راشدا، أمَّا أنَا فلا حَاجَةَ لِي بكمْ سوى الزيَادَةِ في سَوَادِ الأمَّةِ، ولا أكونُ لكم - بحوْل الله - إلا عوْنا على إقامةِ دينكمْ، وتحْصيل العِلْمِ النافِع، وأمَّا أمُّكَ فهَواها أنْ تقيمَ معَها بجِوارِهَا، مُحَصِّلا للعِلْمِ، مُسْتَقِيمًا على جادَّةِ الدين، ولا أرى لِمِثْلِكَ موْضِعًا - فيما بَلغَنَا- يَسْتقيمُ فيه دينُك، وتُحَصِّلُ فيه عِلْمًا نافعا؛ إذِ العِلْم النافِعُ ما اكتنفتْه الخَشْيَةُ، وعمَّرَتْه التقوَى، وقد (ص17) عَمَّ الفساد، في سائر النواحي والبلاد... فعسى أن لا تجده إلا مكْسوف الأنوار.... ومُقارنا للأحْداثِ الأغْمار، فقد قيل لمالك رضي الله عنه: بِمَ نِلْتَ العِلْمَ؟ فقال: "لمْ أنَلْهُ بكثْرَةِ الروَاياتِ، أو إدامة الدراسات، ولكنه نورٌ وَقَرَ في صدْرِي".

وشكا بعضهم إلى وكيع[1] جُمودَ ذِهْنِه، وسُوءَ حِفْظِه، فقال له: اتَّقِ اللهَ تستفدْ عِلْمًا، فاشتغلَ بالتقوى والاسْتقامة؛ فبَرَعَ في العِلْمِ، حتى فاقَ أقْرَانَه، وأنشدَ في ذلك:

شكوْتُ إلَى وكيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فأرْشَدَنِي إلى تَرْكِ المَعَاصِي
وأخْبَرَنِي بِأنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُؤْتَاهُ عَاصِي[2]

وإنك إنْ روَّضْتَ نفْسَكَ على المَحاسِن، وتجَنُّبِ المَساوئ - قبْل أنْ تجْترئَ عليها- نجَحَتَ، وهانَ عليكَ تحصيلُ العِلْم، فإنَّ الشابَّ تبْتَدِرُ إليْه في شَبِيبَتِه المَسَاوِئُ، فيَغْلبُ عليه ما بَدَرَ إليه، فإنْ سبَقها - بالرياضة- إلى نفْسه - بظلْفِها عن دواعِي تلك المَساوئ- تَزَكَّتْ نفسُه؛ فاسْتَفْحَلَ عقْلُهُ معْتادا للخيْر، ساكِنَةً إليه نفسُه، فَنبَعَتْ له العُلومُ منْ قلْبِه وجَرَتْ، وكانت له التقْوَى عادةً ودِيْدنا، قال علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه: "عَوِّدْ نفْسَك.....

(ص18)... كمْ مِنْ رَاحِلٍ أخْفَقَ مَسْعَاهُ... الجنة تحت أقدام الأمهات والسلام".

وأوْرَدَ - رضي الله عنه- أبْيَاتا أوّلُها:

إنَّ الجَواهِرَ تزْكو فَي (مَعادِنِها)

إلى أنْ قال فيها رضي الله عنه:

يُحْظَى المَقِيمُ، ويُعْطَى مَا يُؤمِّلُهُ ... ويضْرِبُ الطَالِبُ المَحْرُومُ بالفَشَلِ

---

[1]- هو أبو سفيان وكيع بن الجَرَّاح ابن مَلِيح الرُّؤَاسي الكوفي، الإمام الحافظ، محدث العراق، أحد الأعلام. سمع من هشام بن عروة وسليمان الأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم. وعنه سفيان الثوري أحد شيوخه وعبد الله بن المبارك، والفضل بن موسى - وهما أكبر منه- وعبد الرحمن بن مهدي والحميدي وغيرهم. وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ، ت:196 هـ.

[2]- البيتان للإمام الشافعي رحمه الله.

الجَـدّ بِالجِـدَّ في مُكْـثٍ، وفي ظعَـنٍ والوَجْدُ بالكَـدِّ، والحِرْمَـانُ بالكَسَـلِ

إلخ.

فافْهمْ هذا الأسلوبَ العجيب، والتركيبَ الغريب، الذي تضَمَّنَ هذا الجواب، لتعملَ بمُقْتَضىٰ السُّنَّةِ والكِتَابَ.

وأمَّا مَا ذكَرْتَ من الْتزامِنا الرِّحْلَةَ في طلَبِ العِلْمِ خَلَفًا عنْ سَلَفٍ، فلا نُطِيلُ فيهِ، ولكنْ:

خُذْ مَـا تَـراهُ، ودعْ شـيئا سـمِعْتَ بـه في طلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغنِيكَ عن زُحَلِ[1]

إذْ قد **أدركت والدَنا** رضي الله عنه، فقد حدَّثَنِي – رضْوانُ الله عليْه – غَيْرَ ما مرَّة – وأنتَ شاهدٌ – أنَّه نَشأ فيما ينْشأ فيه مِثْلُه من أطفال أهْل الحَرْب، من مُعاناةِ المَعِيشةِ وكدِّ العِيالِ، في شظَفِ العيْش، وشُغْلِ البَال، مُوَافَقَةَ مَسِيرِ إخْوَتِه طَلَبَةً، فمَا زالَ كذلك حتىٰ بَلَغَ، وهو علىٰ تلك الحالة، لمْ يكتسبْ عِلْمًا، ولمْ يُطالعْ...

(ص19) قال: بلغت مبلغ الرجال، وليس لي إلا التمسك بآية: "واتقوا الله ويعلمكم الله"، واعتماد حديث: "من عَمِلَ بما عَلِمَ أوْرَثهُ الله عِلْمَ ما لمْ يعلم"، مع عُلُوِّ الهِمَّة، ونُفوذِ العزْمَة... قال: وفكرَّتُ ليْلةً في صِحَّةِ قوْلِه صلَّىٰ اللهُ عليْه وسلم: "لو تعلَّقَتْ هِمَّةُ المُؤْمِن بالثرَيَّا لنالَهَا؛ فوُضِعَتْ بيْن يدي، وقال– رضي الله عنه وأرضاه، وجعل نصيبنا منه أوْفرَ نصيب وأوْفاه–: وذلك من صدْق التوَجُّه، معَ العَمَل بمُقْتَضَىٰ العِلْمِ، كائنا ما كان، كما قيل:

لكـــنَّ سِرَّ الله في صـــدْق الطلـــبْ كمْ رِيءَ في أصْـحابه مَـن العَجَـبْ!

وقال: فلمَّا تُوفيتْ الوالدةُ –رحمَها الله– أعْمَلْتُ الرِّحْلةَ إلىٰ الشيْخ الكامل: الشيخ سيدي، ما شاءَ الله، فأجَازَنِي، وشيَّعَني إلىٰ الأهْلِ.

---

[1]– البيت للمتنبئ ويليه البيت التالي:

والهجـــر اقتـــل لي ممـــا أراقبـــه أنـــا الغريـــق فـــما خـــوفي مـــن البلـــل

مع علمك – أيها الأخ– أنه لم يأخذ عنه إلا الإجازة التي بأيدينا، ولا أراها إلا فرارا مما يقع فيه المتصدر على غير مصدر، وحرصا على السند المتصل، عن السلف المتسلسل.

هذا هو اختصارُ أمْرِه رضي الله عنه مُجْمَلا، وسأبينه لك – إن شاء الله– مُفَصَّلا، في غير هذا الرد.

وأما أنا فليس الخبر كالعيان، وليس الصادق كمن حدث ببهتان، فقد شاهدتَ موارد أمري ومصادره، وذلك أني نشأتُ زمن الصبوة راغبا في التغرُّب، والابتعاد في التطلُّب، فجعل والدنا رضي الله عنه يسوسني بسياسة عجيبة، ويَعِدُني بالمساعدة على ذلك، وينشر لي أحوال طَلَبَةِ العِلْمِ في جميع المسالك، مع اطِّرَاحِي بين يديه،.... والعمل بمقتضى ما يشير به ويقضيه، حتى أطلعني الله من فضله عليه، وقصرتُ همَّتي على الشوق إلى ما لديه من علم ، فوصلت إلى ما إليه من فضل الله وصلت، مما لا أنكره امتثالا لأمر الله،... ولا أذكره بين يدي من قلد هواه، وتولاه، "فظُنَّ خيْرًا ولا تسْأَلْ عنِ الخَبَرِ"[1]، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[2]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[3]، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[4]، اللهم لك الحمدُ على مَا أوْلَيْتَنا، ممَّا لا أسْتَحِقُّه لذاتي، ولا لِوَاجبِ صِفاتِي، اللهم عرِّفْنَا نِعَمَكَ بِدَوَامِها علينا، ولا تُعَرِّفْنَاهَا بزَوَالِها عنَّا...

مَعَ أنَّ الحقَّ واحد، إنْ وجدَ منْ يرغبُ فيه، والطريقَ واضحٌ، إنْ وجدَ من يقْتَفِيه، بيْدَ أنَّ الشمْسَ لا يراها الضَّرِير، والناقدُ بكلِّ عيْب بصِير.

---

[1]– شكر بيت لعبد الله بن المعتز، تمامه:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

[2]– **قرآن كريم**، سورة يونس، الآية: 58.

[3]– **قرآن كريم**، سورة فاطر، الآية: 43.

[4]– **قرآن كريم**، سورة النحل، الآية: 18.

ومَـنْ حَـضَرَ السَّـمَاعَ، بغـيْرِ قلْـبٍ ولمْ يطْـربْ، فـلا يَلُـمِ المُغَنِّـي

والسلام عليكم، من المُجِيبِ علَىٰ رسالتكم: محمد بن سيده عبد القادر، بن سيد الأمين، البوسيفي، عاملنا الله جميعا بلطفه الخفي.

فهرس الأعلام

ابن عباس 3
ابن عطاء الله 7،10،14
أبو حازم 12
أبو حامد 9
أبو الدرداء 3
أبو عبد الله السلمي 8
أبو يزيد 4
الاعمش 12
الجنيد 7
الحسن البصري 11
الحسن 3
داوود عليه السلام 7
الربيع بن انس 7
سحنون 6
سفيان الثوري 10
سهل بن عبد الله 8
سيد الامين 1

سيدنا محمد الخليفة 5ـ15ـ16
السيخ سيد المختار 16
عبد القادر (آدب) 1
عبد الله بن عمر 13
علي 3
عمر بن الخطاب 3ـ13
عمر بن عبد العزيز 11
علي زين العابدين بن الحسين 17
عيسى عليه السلام 11
مالك بن انس 10ـ11ـ12ـ17
مالك بن مغول 12
محمد (سيدي) 1
محمد (الحوار) 1
محمد بن سيرين 12
الهروي 6
وكيع 17
وهب 13

2- سيديَّ ولد آدب: الدر المنظوم في نثر عقد المومنَ بنت ازْهَيْوْ لَخَطْرِى بن المعلوم

الصفحة الأولى من فتوى: الدر المنظوم... بخط صاحبها: سيدي بن آدب

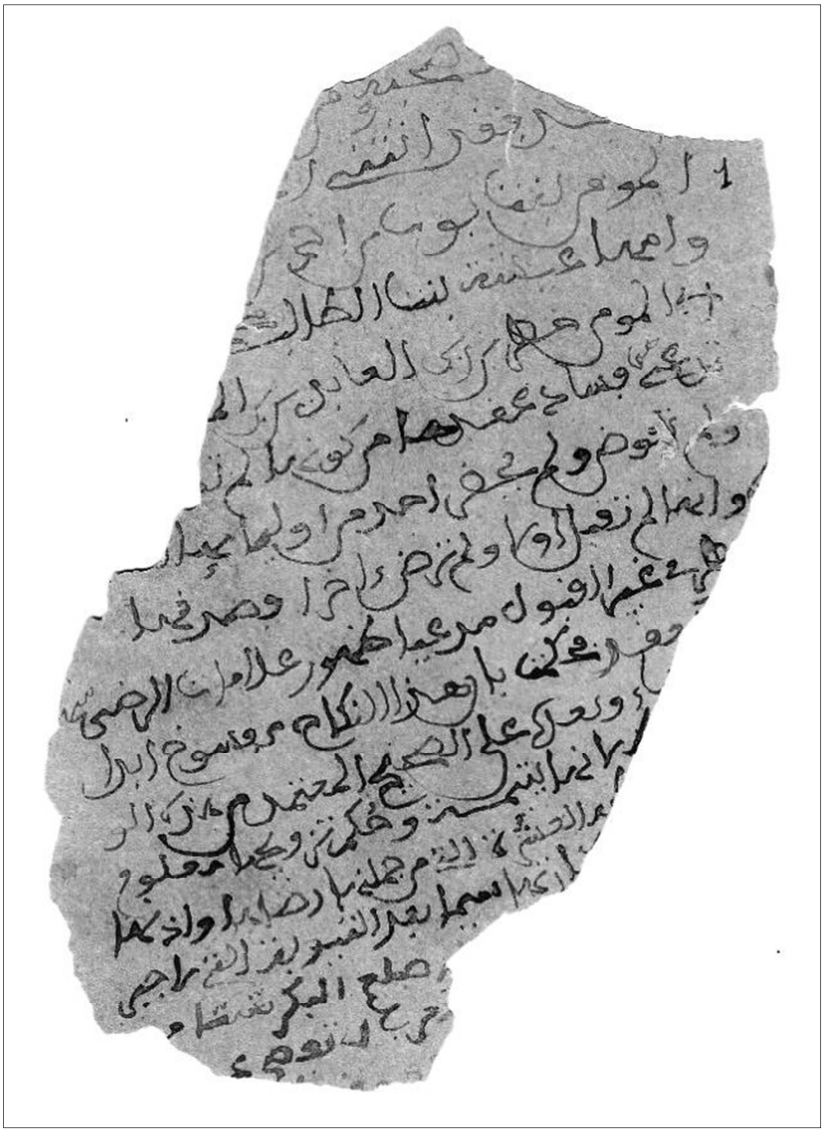

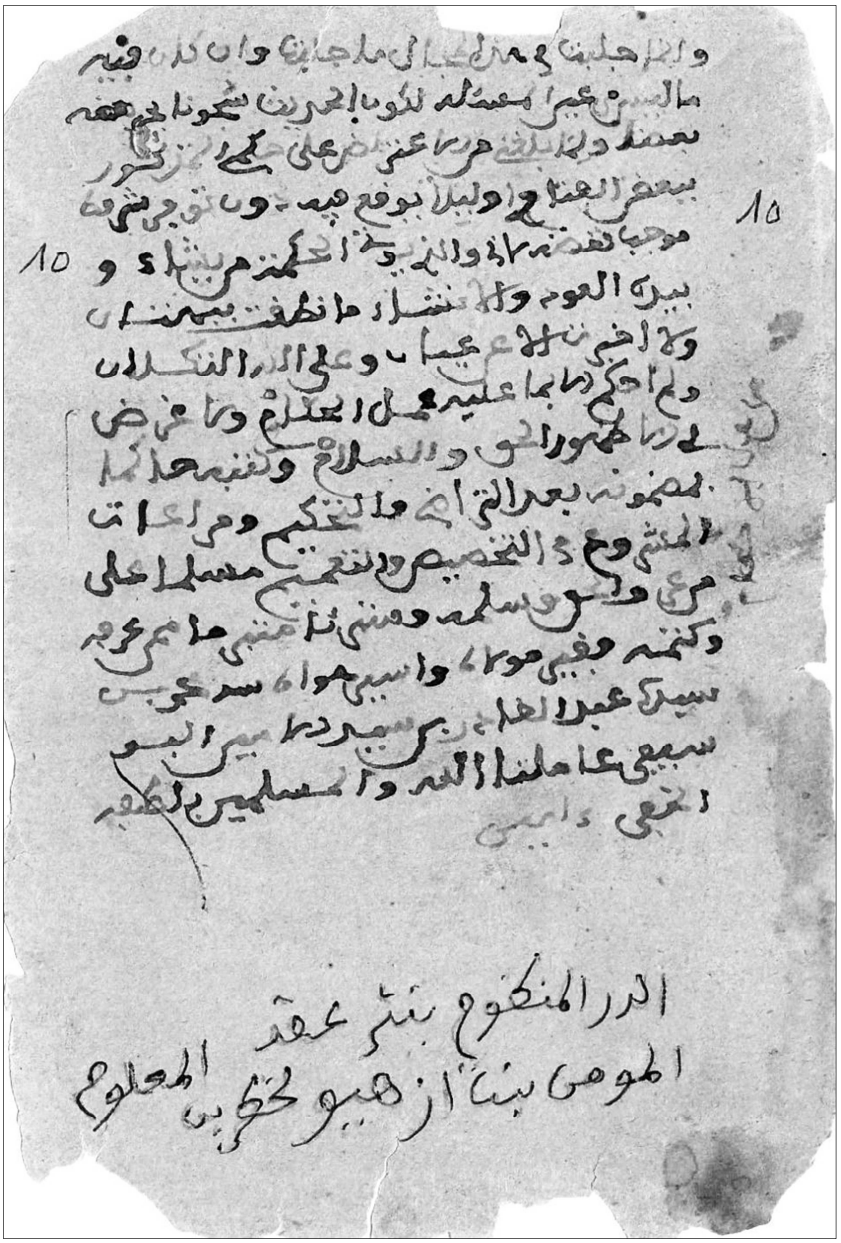

الدر المنظوم بنثر عقد
الموصى بنا از هبو لحكي المعلوم

(ص1) وعلى آله وصحبه....

أما بعْد؛ فقد أتتْني - أيها الكاتب- المومنَ بنت بَوْبَّ بن أحمد بن ازْهَيْوْ، وأمُّها عيشة بنت الطالب محمد، (وزوجها): - أي المومنَ - خطري ابن زين العابدين بن المعلوم... تدَعِّي هي فسَادَ عقْدِها منْ كوْنِها لمْ تـ ..... ولمْ تُفَوِّضْ، ولمْ يَحْضُرْ أحَدٌ من أوْلِيائِها..... وأنَّها لمْ تقبَلْ أوَّلًا، ولمْ ترْضَ آخِرا، فصَدَّقَها خطْري في غيْرِ القَبُولِ مُدَّعِيًّا ظُهُورَ علاماتِ الرِّضي منْها.... بالعَقْدِ، فحَكَمْتُ بأنَّ هذا النِّكاحَ مَفْسُوخٌ أبَدًا.... وبَعْدَه، على الصحيح، المُعْتَمَدِ من هذه الو.... لأنَّها يَتيمَةٌ، وحُكْمُ تزْوِيجِها مَعْلُومٌ (بشرُوطِه) العَشرَة؛ التي من جُمْلَتِها: رِضاها، وإذْنُها... استشارتها، سيما بعد الثُّيُوبَةِ التي لا جَبْر..... صلعم: البِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وإذْنُها صُماتُها، والثَّيِّبُ تُعْرِبُ أي تُفْصِحُ عنْ نفْسِهَا[1]...

(ص 2)... ولا يُزَوِّجُ الثيِّبَ أبٌ ولا غيْرُه... وأنْ يكونَ وَصِيًّا، إنْ فرَضْناه..... لهذا النكاح، قال الخرشي[2] عند: وهو في الثيب ولي، ش: لما كانت هذه الأقسام في وصِيِّ البِكْرِ، أشار بهذا إلى حُكْمِه في الثيِّب، والمعنى أنَّ الوصِيَّ على النِّكاحِ وليٌّ في الثَّيِّبِ البالغِ غيْرِ الرَّشِيدةِ، كأحَدِ الأوْلِياءِ؛ لا يزوجها إلا برضاها، قاله عبد الوهـاب" هـ وله أيضا عند قوله: وهل إنْ قبل بقرْب مَوْتِه، أو مطلقا: تأويلان، ثم لا جَبْرَ، فالبالغ ش: تقدَّمَ الكلامُ على الوَلِيِّ المُجْبِر، وهو السَّيِّد في أمته، والأبُ في ابْنَتِهِ، والوَصِيُّ بشرْطه، وما عدى هؤلاءِ الثلاثةِ لا جَبْرَ لهمْ، وليْس لهمْ ولايةٌ، إلا على البالِغ فقط؛ بِكْرًا أو ثَيِّبًا، ولا يُزَوِّجُونَها إلا بإذْنِها

---

[1]- الحديث كما ورد في إرشاد الساري على صحيح البخاري هو: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو هُوَ ذَكْوَانُ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يُسْتَأْمَرُ النِّسَاءُ فِي أَبْضَاعِهِنَّ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَإِنَّ الْبِكْرَ تُسْتَأْمَرُ فتستحيي فَتَسْكُتُ قَالَ: «سُكَاتُهَا إِذْنُهَا».

[2]- **الخرشي**: هو محمد بن عبد الله المالكي أبي عبد الله (ت:1101هـ) له **شرح مختصر خليل**، نشرته: دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة بدون رقم طبعة وبدون تاريخ.

ورِضَاهَا، لكنَّ هذه البالِغَ إمَّا أن تكونَ ثَيِّبًا أوْ بِكْرًا، فأمَّا الثيِّبُ فإنَّه يُشْتَرَطُ نُطْقُها، كما يأتي، وأمَّا البِكْرُ ففيها تفْصيلٌ؛ فإنْ كانتْ منَ الأبْكارِ السَّبْعِ الآتِيَّةِ في كَلامِه، فإنَّه يُشْتَرَطُ نُطْقُها أيضا"، قلتُ: وهي منْهُنَّ منْ وُجُوهٍ، منْها... مُشاوَرَة القاضِي، وعد..... لو كانا أولا....

(ص3)... وعدم الافْتِئاتِ عليْها ابْتداءً، وعدم..... بعْد العَقْدِ، فالْمُفْتَاتُ عليْها هي التي يُزَوِّجُها الوليُّ بغيْر إذْنِها- ثم تُسْتَأْذَنُ بعْد العَقْدِ عليْها، فتفْتقِرُ إجازَتُها إلَى النُّطْقِ. إلخ كلام الخرشي. وعبد الباقي عند قوله: أو افْتِيتَ عليْها، وفيه أيْضا عند قوْله: وصحَّ إن قَرُبَ رِضاها بالبلاد ولمْ يَقرَبْه حال العقد ش: "يعني أنَّ نِكاحَ الْمُفْتَاتِ عليْها بِكْرًا أو ثيِّبا يَصحُّ بشروطٍ، إنْ رَضِيتْ بالنُّطْقِ، كما مَرَّ" إلَى أنْ قالَ: "ولمْ يُقِرَّ الوَلِيُّ الواقِعُ منْهُ الافْتِياتُ حالَ العَقْدِ بأنْ ادَّعَى إذْنَها، أو سَكَتَ، فإنْ أقَرَّ بالافْتِياتِ فُسِخَ أبَدا اتفاقا، وإنْ قرُبَ رِضَاها، وأنْ لا تَردّ قبْلَ رِضاها، فإنْ رَدَّتْ لمْ يُعْتَبَرْ رِضاهَا، وإنْ قرُبَ"هـ هذا في البِكْر ذاتِ الوَلِيِّ، وإنَّما جَلبْناهُ احْتياطا، مَعَ عِلْمِنَا أنَّ هذه المرْأةَ ثَيِّبٌ، ولمْ يَتَوَل عليْها وَلِيٌّ أقْرَب، ولا أبْعد... لي، وَلا قاضٍ، وقد تقَدَّمَ بَيَانُ فسادِ عقْدِ مَنْ عُقِدَ عليْها مِثْلُ هذا العَقْدِ المَذكُورِ على فرْضِهمْ، لأنَّ حضْرتَها إنْ كانَ ليْس فيها مَنْ فِيه قابليةٌ لذلكَ إلَّا مُحَمَّد بن مِينِ.... إلا أنَّه لمْ يَتَوَلَّ طرَفًا من ذلك، وهما... عنِ العَقْد: هلْ هو صحيحٌ أمْ لا؟ ونصه.... المُنتَمِي بعْدَ الخَطِّ يُنْبِئُ عنْ أمْرٍ وقَعَ بحضْرَتِهِ... قوْلُه: "وقَعَ بِحَضْرَتِه" هل هو بمعْنَى .... بيْنهما، ثُمَّ قالَ: وهو عَقْد..... هل الذكر أنِّي أعْلَمُ أنَّ العَقْدَ.... لا بُدَّ له من الشهُودِ، ولا بُدَّ... (ص 4) من عَدَالَةِ الشُّهُود، وعقْدُ هذه المَرْأةِ على ما... لمْ يَبْقَ منْ شُرُوطِها إلَّا العَقْد، غير أنَّه صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأ، والنِّسْيَانُ، وما اسْتُكْرِهُوا عليهِ"[1]، ثمَّ ذكَرَ قِصَّةَ ذِي

[1]- رواه الطبراني والدارقطني والحاكم بألفاظ مختلفة وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

اليَدَيْنِ[1] في الصلاةِ اعْتذارًا عنْ عَدَمِ بَحْثِه عنْ شُروطِ الصِّحَّةِ، ثمَّ قالَ: والرُّجوعُ إلَى الحَقِّ حَقّ؛ بمعْنَى واجبٌ، ثم ذكرَ قوْلَةَ عُمَرَ لقوْمِهِ: إنْ رأيْتُمْ فيَّ اعْوجاجًا فقَوِّمُوهُ، فقالَ قائلٌ: نُقِيمُه ولو بسُيوفِنا، فحَمِدَ اللهَ، حَثًّا منْه- أي ابن مِينِ- عَلَى الفسْخِ، وإخْبَارا عنْ عدَمِ تَعَرُّضِه فيه. إلخ وثيقَتِه، وها هي بيَدِي، من اسْتَرْآنِيها أرَيْتُه إيَّاها، وإذا كانَ هذا هكذا فَفِيمَ البحْثُ؟ والحَقُّ- تباركَ وتعالَى- يقول: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿أيّما امْرَأةٍ نُكِحَتْ بغيْر إذْنِ وَلِيِّها، فنِكاحُها باطلٌ، باطلٌ، باطل[3]﴾، قالها ثلَاثا، وقال: {لا تُنْكِحُ المَرْأةُ المَرْأةَ، ولا المَرْأةُ نفْسَها}... ذلك لكانَ لِعائشةَ -رضي الله عنها- حِينَ أوْصاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على يَتِيمَاتِ المَدِينَةِ..... بوليٍّ. إلخ الشُّرُوطِ المَعْلُومَةِ ضرُورةً. هـ ثم إنَّه- أيْ ابْنُ مِينِ..... ولايته، أو جَعْلِه نَفْسَهَ وَلِيًّا، فقد تقَدَّمَ حُكْم فسْخِه.... إنْ كانَ قاضيا، فكذلك، لعَدَم مُشَاوَرَتِه.... لم يبحثْ عنْ حَالِها، لأنَّ سِيد أحْمَد أثْبَتَ..... سابق بلفظ علم المُشَاهَدَةِ..... من الشهود بذلك اللفظ أيضا.... القاضي إلا ظهور عدم.... الذى منه ثبوت عدم كونها.....

(ص5).... بأنْ ولدت الأولاد ولم يُرَ الولدُ الواحد والسنين طولا الخ. وهذه اقصى..... بضع عشرة ليلة ومن مفسداته... عدم الاستشهاد عند العقد ولا عند... جرى الخلاف فيه عند العقد فلا خلاف.... بعدمه عند الدخول قال مبين ما به الفتوى... وإشهاد عدلين، الخرشي وفتح الوهاب: "أي يُنْدَبَ إيقاعُ الإشْهَادِ عنْد العَقْدِ، فإنْ لمْ يَفْعَل، فعند الدُّخول، وإلا فُسِخ"... عند قوله: وفسخ

---

[1]- ورد في **الصحيحين** من حديث أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم: صلى ركعتين ثم سلمّ فقال له ذو اليدين: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: كل ذلك لم يكن. فقال: بلى. قد كان بعض ذلك. فسأل الصحابة: أصدق ذو اليدين؟ قالوا: نعم. فرجع فصلى ركعتين؛ وكان قد قام من مصلاه.

[2]- **قرآن كريم**، سورة النساء، الآية:25.

[3]- روته السيدة عائشة.

"ضمير بِلاهُ عائدُ على الإشْهادِ، والمَعْنَى: أنَّ الزوْجيْن إنْ دَخَلَا بلا إشْهَادٍ فإنَّ النِّكَاحَ يُفْسَخُ بيْنهما بطلْقَةٍ بائنةٍ". الخ كلامِه في المُفِيد[1].... عنْد قوْلِه: فإنْ لمْ يُشْهِدَا في العَقْدِ فلا يُبْنِ بها حَتَّى يُشْهِدَا، يعْني أنَّه من أرْكانِ النِّكاحِ التي لا يَصحُّ إلا بها: شَهَادَةُ شاهديْنِ عدْليْن، قال ابنُ عمر: "فإنْ لمْ تُوجَدِ العُدولُ فاسْتَكْثِرُوا منَ الشُّهودِ؛ كالثلاثين، والأربعين، فإنْ لم يشْهدِ الوليُّ والزوْجُ في حضْرة العقْد، فإنَّ الزوْجَ يحْرُمُ عليه أنْ يدْخلَ بزوْجَتِه، حتى يشْهدَ الشهود، فإنْ وجدَ الزوجُ والزوْجةُ رجُليْن عدْليْن بعْد العقْدِ، وأشْهَداهُما على وُقوعِ العقْدِ بيْنهما كفاهُما ذلك في الوجوب، ... كذا إن ..... واحد منهما با.....

(ص 6)... بعد تفْريقِهما؛ أي الزوْجُ و.... الآخر، وأشهَدَهُما من غير مضرة لا يكفي. إلخ كلامِه، وقال سيدي عبد الله[2] – (بعد) كلام له في منْع نكاحِ السِّرِّ: لأنَّ كلما وقفتُ عليه من كلام أهْل الـمَذْهَبِ مُعبِّرُ باشْتراطِ الإشْهاد..... الدخول وجوازه من غير تقييد في كون ذلك في الـ... قال ابن رشد[3] في... وكذا الإشهاد عند الدخول، وقال ابن شاش[4]... شرط... جواز الدخول، وقال الحطَّاب[5].... في جواز الدخول الإشهاد وقال المـ.... ينة شرْط في البناء، وقال ابن عاصم..... حتم للإشهاد، ونقل ميارة[6] هـ..... ـصه: إذا لم يقعْ إشْهادٌ فلا نِكاحَ بوجْه، ولا توارُثَ، ولا عِدَّةَ، وذلك كله إنما هو مَنُوطٌ بالإشْهَاد، فإذا لم يكنْ إشْهادٌ، فلا نِكاحَ. اهـ كلام البغني. والظواهر إنْ كثرتْ أفادت القطع.

---

[1]– القاضي أبي الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدي المالكي: **المفيد**، ت606هـ.

[2]– سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، العلامة المشهور، ت 1233هـ.

[3] – المعنيُّ هنا لعله ابن رشد الجد، ت 520، فقيه مالكي أندلسي له نوازل مشهورة.

[4]– هو جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاش له كتاب: **عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة**.

[5]– هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي، ت954هـ، صاحب كتاب **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل** وكتاب **تحرير الكلام في مسائل الالتزام**. في مواهب الجليل: وقال الدَّمَامِينيُّ فِي كِتَاب **الشَّهَادَات من حاشيَةِ البخاري**: قال ابْنُ المنير ونحن نشترطُ فِي جواز الدخول تقدم الإشهاد قبل النكاح.

[6]– فقيه مالكي: ت:1072، له شروح على بعض كتب ابن عاشر وابن عاصم.

قلتُ: ولا يُلْتَفَتُ إلى مُعَارَضَةِ البغني لهذا، لعَدَمِ العَمَلِ بها في بلدٍ ما، وانْفرادِه بها، كما ذكر الشرحُ المَنْقولةُ منْهُ، لقوْلِه: وأفْتَى جماعةٌ منْهم الإمامُ البَغني؛ فعدَّه من جماعةٍ ولم يذكرْها، لذلك.... وعلى تقدير.... صِحَّتِها، فإنَّما فيمن عَقَدَ عليها وليُّها الشرْعيُّ، وقد تقدَّمَ أنَّ هذه لمْ يعْقدْ عليْها وَلِيٌّ ما. وهذا القدْرُ كافٍ في الاستشهادِ لما أوْرَدْنا، ومن اسْتَزَادَ زدْنا، وبخَتْمِه مَتَمُّ هذا **"الدُّرِّ المَنْظومَ في نثر عقد المومن بنت ازهيو لخطري بن المعلوم**، مَبْنِيًّا على الآي المُحْكَمَة، المستعملـ.... (ص7) أهل السنة المُتَقَدِّمَة، ثمَّ على الأحاديثِ الصِّحَاحِ المُسْنَدَةِ، ثمَّ علَى أمَّهَاتِ كُتبِ المَذْهَب المُعْتَمَدَة، ولعلَّ قائلا يقول غيرَ هذا؛ فلْيَعْلَمْ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: {إذا خالفَ قوْلي قوْلَ غيْري فخُذوا بقوْلي ودَعُوا قوْلَ غيْري، فإنِّي لا أنْطِقُ عن الهوى، وإذا خالفَ قوْلِي قوْلَ الله فخُذُوا بقوْلِ الله ودَعُوا قوْلي، فإنَّ آيةً من كتابِ الله خيْرٌ من محمد وآل محمد}، أخْرَجَه أبو داوود، والترمذي، فإيّا المُعْتَرِضِ والتمَاسَ شوَاذِّ النُّقُول، بعْد الاطِّلاعِ على ما به العَمَلُ من رواياتِ أهْل المذْهبِ الفُحول، فإنَّ الفتْوَى بغيْر المَشْهور والرَّاجِحِ حَرَامٌ اتِّفاقا، إلا في أرْبَع مَسائلَ مَعْلومَة، مُنْتَفِيَة في هذه المَسْألَةِ، ذكرَهَا سِيدِي عَبْدَلّ، عازيًا للمِعْيارِ، ثم قال- بعْد كلامٍ يَسِيرٍ، في الرَّدِّ على مَنْ اسْتَثْنَى من ذلك، من المُتأخِّرينَ من طَلَبَةِ المَغافِرَة الطلاق، والزكاة، والحج: "أمَا تَرَى أنَّ خَلِيلا[1] قال: مُبَيِّنًا لمَا به الفتْوَى؛ أيْ الذي لا تَجوزُ الفتْوَى إلا به، ثمَّ أوْجَبَ الطلاقَ في مَسائلَ كثيرةٍ، كلّ واحدةٍ منْها فيها مُقابِلٌ ضَعِيفٌ، قابلٌ لعدَم الطلاقِ، فلو كانَ يُفْتى بالطلاق بالضعيف، لكانَ الواجِبُ أنْ يمْشي على ذلك الضعيف، أو ترَى شرُوح خليلٍ عند قوْلِه: مُبَيِّنًا لما به الفتْوَى، وهو الراجحُ، أو المَشْهورُ، ولا تجوزُ الفتْوَى، ولا الحُكْم بغيْر المَشْهور، ولا بغيْر الراجحِ، ولا يُثْبِتُون طلاقا غيْره، وقد قال شيخُنا البناني[2] في قوله:

---

[1]- هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، ت: 776هـ.

[2]- هو الشيخ عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي: ت:1198هـ، له حاشية مشهورة في الفقه المالكي اختصر فيها سياق ابن قاسم العبادي.

"فحكم بقول مُقَلِّدِه": المُرادُ ما هو أخَصّ، لأنَّه لا يُحْكَمُ إلا بمشهور المَذْهَبِ، (ص 8)، كما في عبارة الحطّاب وقال في عمليات فاس:[1]

حُكْــمُ قُضــاةِ الوقْــت بالشُّــذوذِ فــما لــه في الحُكْــمِ مــن نُفُــوذ... الــخ

فلم يستثنوا طلاقا ولا غيره، ومثله قول ابن عرفة[2] وتبعه البرزلي[3] وغيره على ذلك: لا يُعتبَرُ من أحْكامِ قُضَاةِ الوقْتِ إلا مَا لا يُخالِفُ المشهور، ومَذهبَ المُدَوّنَة، إلى أنْ قال: "نعَم إذا جرى عمَلُ العلماءِ المُعْتَبَرِينَ بالضعيف لمصْلحَة ترَجَّحَ ذلك الضعيفُ، وقُدِّمَ على المَشْهور، ما وُجِدَتْ تلك المصْلحَةُ، التي عُمِلَ بالضعيفِ لأجْلِهَا، قال صاحبُ العمَليات:

"ومــا بــه العَمَــلُ دونَ المشْــهورْ مُقَــدَّمُ فِي الأخْــذِ غــيْر مهْجُــورْ"

إلخ كلامه رحمه الله.

كما هو مُنْتَفٍ - كما يعْلمُ الله - في تصحيح هذا النِّكاح الفاسد، فأيُّ مصْلَحَةٍ في إرْسَال الجَهَلةِ بعْضهِمْ على بعْضٍ، في عُقودِ النكاح، من غيْر تراضٍ، ولا وَلِيٍّ، ولا شُهُودٍ، ولا إذْن، ولا اسْتِئْذانٍ؟ وأيُّ عَمَلٍ على ذلك؟ ولأيِّ عِلْمٍ يُعْزَى مَا هنالك؟

ومن شُروط الإفْتَاءِ بالضعيف المذكورة عملُ المَرْء به لخاصّةِ نفْسِهِ، إنْ ألْجَأتْهُ إليه الضرورةُ، قال:

تقليدَك الضعيفَ في النفْسِ أجِزْ.. الخ.

---

[1]- يقصد: **تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس** لأبي عيسى سيدي المهدي الوزاني.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة التونسي إمام جامع الزيتونة وخطيبه، ت:803هـ، له كتاب **المختصر والحدود**.

[3]- أبو القاسم احمد البلوي القيرواني، ت:841هـ، له كتاب: **"جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"** وهو المعروف بنوازل البرزلي.

وقد قال عياض[1]: "وليس للمُفْتِي أنْ يَعْتَرِضَ على مَنْ خالَفَه، إذا لمْ يُخالفْ النصَّ، أو جَلِيَّ القِياسِ، أو يُحَرِّفَ الإجْمَاع"هـ.

ابن يونس[2] أشار إليه بقوله: "فمِنْ شرْط الأمْر بالمعْروفِ والنهْي عن المُنْكَرِ أنْ يكونَ في أمْرٍ مُتَّفَقٍ عليْهِ، أمَّا المُخْتَلَفُ فيه فلا يُنْكَرُ، "وليْس للمُفْتِي ولا للقاضي إنْكارٌ على مَن خالفَه ما لمْ يخالِفْ نصَّ قرآن، أو سُنَّةٍ، أوْ إجْمَاعٍ". هذا نصُّ المالكية والشافعية، ورجَّحَه النوَوَيُّ في مِنْهَاجِه[3]، وهو نصُّ عز الدين في قواعده[4]، وقال القصْريُّ في نوازله:[5] "التصدِّي لنقْضِ الأحْكام بعْدَ إبْرَامِهَا (ص9)، ونفوذِها فيه مَفْسدةٌ عظيمةٌ، لإفْضاءِ ذلك إلى كثْرَةِ الخِصَامِ، والهَرَج بيْن المسلمين، ودَرْءُ المَفاسِدِ قاعدةٌ من قواعدِ الشرْع، لا تنْخَرِمُ أصْلا، وقد حضَّ الشارعُ على دَرْئِها، فحينئذٍ يجبُ نقْضُ مخالِفِها؛ ففي النوادِر[6] عن أبي محمد[7] عن ابن المَوَّاز[8]:

"وممَّا ينقضُ أيضا حكم الحاكم بنقض ما لا يُنْقَضُ من الأحْكام، فإذا قَضَى حاكمٌ بنقْض حُكْمٍ، وهو ممَّا لا يُنْقَضَ نقضَ الحاكمُ الثالثُ حكمَ الثاني، بنَقْض الحُكْمِ الأوَّل، إذا كانَ مُوافقا لقوْل ولوْ ضعيفا، ولو خارجَ المَذْهب، خطأ منه، وإذا نقَضَ الحاكمُ الثالثُ حكْمَ الثاني بنقْضِ الحكمِ الأوّلِ نَفَذ الحُكْمُ الأوَّل" هـ كلام القصري.

---

[1]- هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، ت544هـ، أحد أعلام المذهب المالكي ولي القضاء في سبتة وغرناطة.

[2]- أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن يونس الصقلي له **كتاب الجامع**، وهو من المصادر الهامة في الفقه المالكي

[3]- **المنهاج** شرح للنووي على صحيح مسلم.

[4]- يقصد به عز الدين بن عبد السلام قاضي مصر وخطيب جامع عمرو بن العاص ومدرس الصالحية ت 660هـ، وكتابه المعنى هنا هو **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**.

[5]- هو القصري بن محمد المختار الاديلبي صاحب النوازل المشهورة، ت 1235هـ.

[6]- يقصد: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني المالكي، ت 389هـ، وهذا الكتاب موسوعة كبيرة في 15 مجلدا.

[7]- لعله القيرواني الذكور في الهامش أعلاه.

[8]- هو محمد بن المواز الفقيه المالكي المصري، ت 269هـ.

وقد قال الشيخ سيد المختار[1] – رضي الله عنه– في المَسْأَلَة، بعْد كلامٍ في المعْنىٰ:

"لأنَّ المَذاهِبَ قد حَدَثتْ بعْد الصدْر الأوَّل، ولنْ يأتِي آخرُ هذه الأمَّةِ بأفْضَل ممَّا جاءَ به أوَّلُها، وإنَّما المُعْتَمَدُ الكتابُ والسُّنَّة، فمَا وافقَهُما فهو حَقٌّ، وما خالفَهما فهو باطلٌ، لأنَّهُما حق الحَق، وما بعْدَهما إلا الضَّلال...."..... في فتح الوهاب عنْد قوله:

وبين المُتشاجِرينَ: "إنَّمَا شُرِعَ لتُرْفَعَ به النائرَةُ، وهي الفِتْنَةُ، أوْ يُرْفَعَ بِهِ النِّزَاعُ فَإنْ كانَ في المَسْأَلَةِ قوْلانِ، فحَكَمَ القاضي بأحَدِهما، فإنَّ ما حَكَمَ به القاضي يُرَجَّحُ علىٰ الآخَرِ، فلا يُعارَضُ حُكْمُه بالقوْل الآخَر، ولا يُنْقَضُ، ولو كانَ أرْجَحَ منْه".

قال القرافي في الفروق[2]: "يتقرَّرُ الخِلافُ في مَسائِلِ الاجْتهادِ بمِثْلِ حُكْمِ الحاكِم، ويَبْطُلُ الخلافُ فيها، ويتعَيَّنُ قوْلٌ واحدٌ بعْد حُكْمِ الحاكم، وهو ما حَكَمَ به الحاكم".

قال أبو القاسم[3]: "ما قالَ القرافي يُوهِمُ أنَّ الخِلافَ يَبْطُلُ مُطْلَقًا في المَسْأَلَة التي تَعَلَّقَ بها حُكْمُ الحاكِم، وليس الأمْرُ كذلك، بل الخلافُ يبْقَىٰ علىٰ حالِه، إلا أنَّه إذا اسْتُفْسِرَ المُخَالِفُ في عيْنِ تلك المَسألة التي وقَعَ الحُكْمُ فيها لا يَسُوغُ له الفتْوَىٰ فيها، لأنَّه قدْ نَفَذَ فيها الحُكْمُ بقوْل، ومضىٰ العَمَل" هـ.

(ص10) وإنَّما جَلَبْتُ في هذا المَجال ما جلبْتُ، وإنْ كانَ فيه ما ليس من عيْن المَسألة، لكوْن الحديث شُجونا؛ يجرُّ بعْضُه بعضا، ولِمَا بَلغَنِي من الاعتراض علىٰ حُكْمِي المذكور ببعض الفتاوىٰ، أو لِئلَّا يُوقَعَ فيه دون توَفُّرِ شرْطٍ مُوجِبٍ

---

[1]– الشيخ سيد المختار بن احمد بن أبىٰ بكر الكنتي المتوفىٰ 1226هـ والعنوان الكامل لكتابه هذا هو: **فتح الوهاب على إرشاد الطلاب**.

[2]– القرافي، هو احمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي: ت684هـ، له كتب هامة في المذهب المالكي منها: **الذخيرة وأنوار البروق في أنواء الفروق**، وهو المشهور بالفروق.

[3]– لعله يقصد به ابن جزي الفقيه المالكي المعروف صاحب كتاب **القوانين الفقهية**.

نقضَه؛ لأنِّي – والذي يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وبيَدِه العَوْدُ والإنْشاءُ – مَا نَطَقْتُ بِبُهْتان، ولا أَخْبَرْتُ إلَّا عنْ عيان، وعلى الله التكْلان، ولم أَحْكُمْ إلا بما عليْه عمَلُ الحُكَّام، ولا غرَضَ لي إلا ظُهور الحقِّ والسلام.

وكتبه، حاكما بمضمونِه، بعْد التراضي والتحْكيم، ومُراعاةِ المَشْروع في التخْصيصِ والتعْميم، مُسَلِّما على مَنْ عَرَفَ الحقَّ فسَلَّمَه، ومُتَبَرِّئًا مُتَبَرِّمًا مِمَّنْ عَرَفَهُ وكَتَمَه:

فقيرُ مولاه، وأسيرُ هواه: **سيد محمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفي**، عامَلَنَا الله– والمسلمين– بلُطْفِهِ الخفي، آمين.

مراجع المؤلف:

الخرشي
المفيد
عبد الباقي
سيدي عبد الله
ابن رشد
ابن شاش
الحطاب
المـ(واق)
ابن عاصم
ميارة
عمليات فاس
ابن عرفة
البرزلي
عياض

ابن يونس

النووي: المنهاج

عز الدين: القواعد

القصري: النوازل

النوادر

المواز

الشيخ سيد المختار: فتح الوهاب

القرافي: الفروق

أبو القاسم

3- رسالة من سيدي إلى الشيخ سيدي باب

ص 1

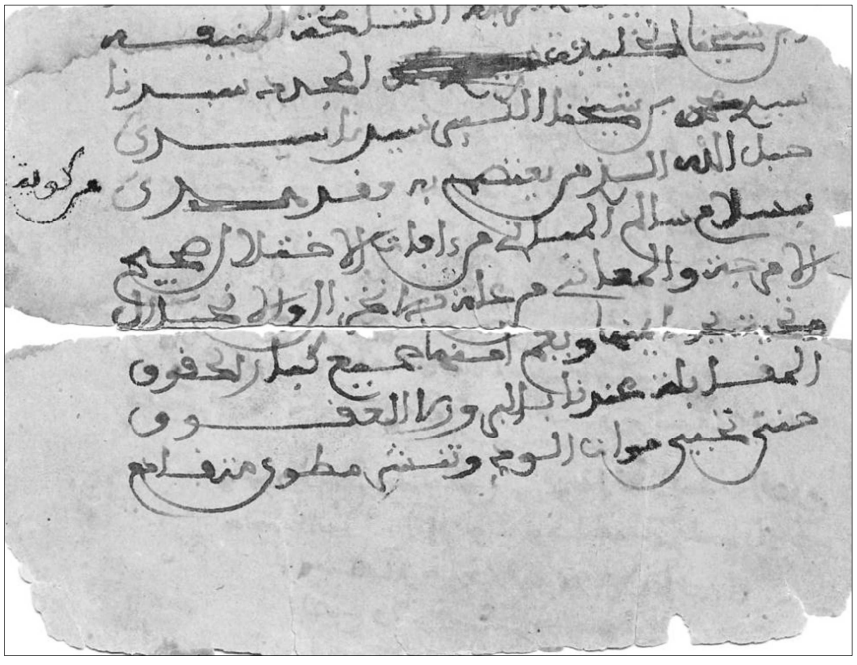

ص 2

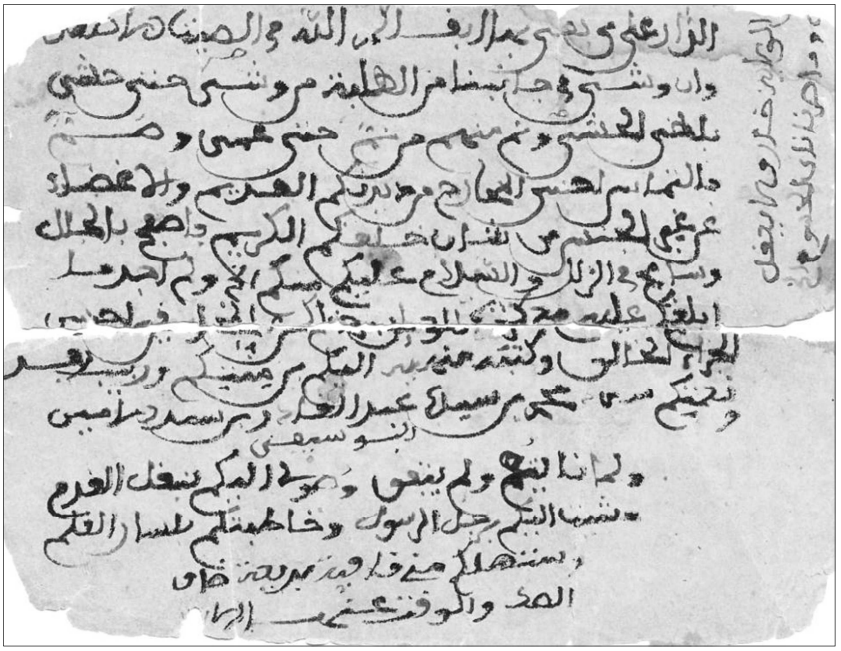

(ص 1)... الرتبة الشامخة المنيفة ابن شيخنا الخليفة المجدد سيدنا سيدي محمد بن شيخنا الكبير سيدنا سيديَّ حَبْلِ الله الذي من اعْتَصَمَ به فقد هُدِي.

من كويْتبه بسلام سالِمِ المَباني، من آفَات الاخْتلال، صحيحِ الأمْزجَةِ والمَعاني، من "علة الانْخِزال"، والانْحلال، وتحية يجودُ يُمْنُها، ويعمُّ أمْنُها جميعَ كِبارِ الحُقوق، المُقابَلةِ عندنا بالبرور، لا العُقوق، حتىٰ تُحْيِي مَواتَ الوُدِّ، وتنْشرَ مَطْوِيَّ مُتقادِمِ العَهْدِ....

(ص 2) الدار علىٰ مَنْ بقِيَ بها، أبقاكمُ الله في الصِّيتِ الأصْفَىٰ، وإنْ وشَىٰ - في جانبنا- منَ الطلّبّةِ- مَنْ وشَىٰ، حتَّىٰ حشا - بلَظىٰ- الحَشىٰ، ونَمَّ منْهم من نمَّ، حتىٰ عمي وصمّ، فالتماسُ أحْسَنِ المَخَارِج من ديْدَنِكمُ القَدِيم، والإغْضَاءُ عنْ غيْرِ الحَسَنِ من شَأنِ خُلُقِكم الكريم، فاصْفَحْ في الخَلَلِ، وسامِحْ في الزَّلَلِ،

والسَّلامُ عليْكمْ مِنْكمْ، إلخ. ولم أجِدْ ما أَبْلُغُكمْ عَليه[1]، جزاكم عن المَخْلوقين أحْسَنَ الجَزاءِ الخالق.

وكتبه – مُنْهِيهِ إليكم– ابنُ مِنَّتِكم، ورَبيبُ رِفْدِكِمْ، ونِعْمَتِكم: سيد محمد بن سيِّدِه عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفي.

ولَّـــا نـــأيْتُمْ ولم يَتَّفِـــقْ وُصُـولي إلـيكم بنقْـلِ القـــدَمْ
مشـيتُ إلـيكم برِجْـلِ الرسـولِ وخـاطبْتكمْ بلِسـانِ القلَـــمْ[2]
وستصـــلكمْ منِّـــي قافيـــةٌ بديعـــةٌ
ضـــاقَ الصـــكُّ والوقْـــتُ عنْهَـــا الآنَ.[3]

4- رسالة سيدي وجماعة أولاد بوسيف الخضر إلى أهل الشيخ المصطفى بن العربي

الحمد لله الذي جعل القلمَ أحدَ اللّسانيْن، والصلاة والسلام على سيد الكوْنيْن.

أمَّا بعْد،

فالسلامُ التامُّ... الشاملُ من جَماعتنا– مُعْشَرَ لحُراطين عمُوما، وخُصوصا محمد ولد سيد الأمين، والكاتب، وغيرهما، إلى أخِينا الحَبيبِ، وحبيبنا القريب، خاصَّتِنَا من كلِّ خاصّة، وخُلاصَتِنَا من كلِّ خُلاصَة: محمد بن عبد الجليل بن الشيخ المصطفى، صَرَفَ اللهُ عنَّا وعنْه السوءَ ونَفَى.

---

[1]– أذكر هنا قول سيدي بن آدب:

أودتْ بِمـالي، ولا عبْـد اللطيـف يُـرَى حيًّـا، ويـا ليْتُـه قـد ضـاعفَ العُمـرا

فهو هنا يسجل هلاك، مراكبه، وربما كان هذا البيت من قصيدة ماتزال ضائعة، يتحسر فيها على فقد صديقه.

[2]– البيتان قديمان، قد استخدما في مراسلات المنصور الذهبي، أحد أشهر ملوك السعديين في المغرب.

[3]– لم أجد هذه القافية التي وعد سيدي ولد آدب بإهدائها إلى الشيخ سيدي باب، ضمن مخطوطاتنا.

مُوجِبُه إعْلامُك.....

وكتبَه، مُسَلِّمًا عليك، بَدْءًا وعوْدا: سيد محمد بن سيِّدِه عبد القادر بن سيد الأمين بن مُحمد بن الطالب اعمر بن خيرىٰ البوسيفىٰ.

بقية رسالة بخط سيدي

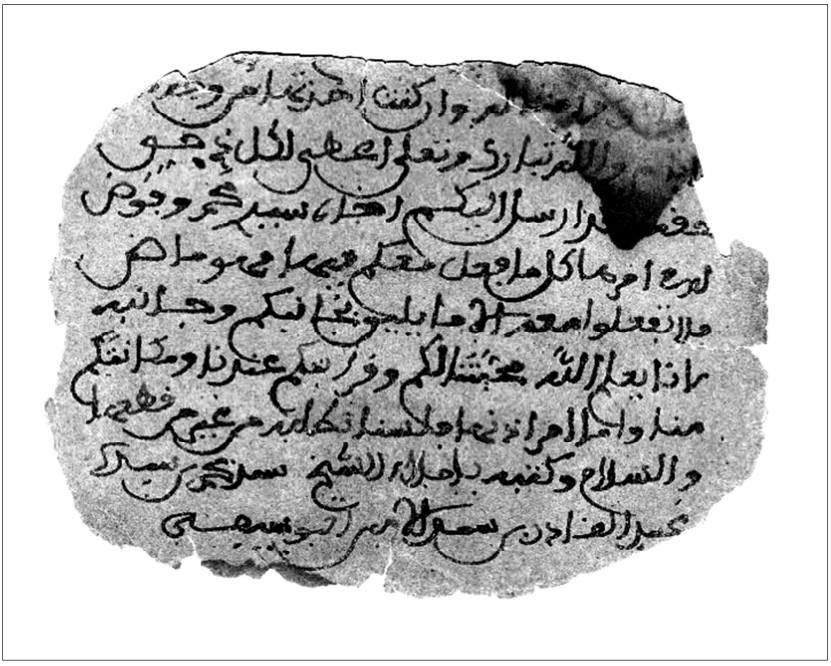

..... وأمثاله، وأن كنْت أخذْتَها من وجْه.... فلا بأسَ، واللهُ - تباركَ وتعالىٰ- أعْطىٰ لكلِّ ذِي حقٍّ حقَّه، وقد أرْسَلَ إليكمْ أخاهُ: سيد محمد، وفوَّضَ له فِي أمْرِها، كلَّ ما فعلَ معكمْ فيها فهو ماضٍ، فلا تفْعلوا معَه فيها إلا ما يليقُ بجانِبِكمْ وجانِبه، لأنَّا يعْلمُ الله مَحبَّتنا لكمْ، وقرَابَتكمْ عنْدَنا، ومَكانَتكمْ منَّا، وأمَّا أمْر أذْنِها فلسْنا نطلبُه من غيْرِ من قطعَها، والسلام.

وكتبَه- بإملاء الشيخ- سيد محمد بن سيِّدِه عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفىٰ.

5- حكم بفسخ مغرم كان لبكار ولد اسويد أحمد على المسمى: صنب ولد حامدينُ

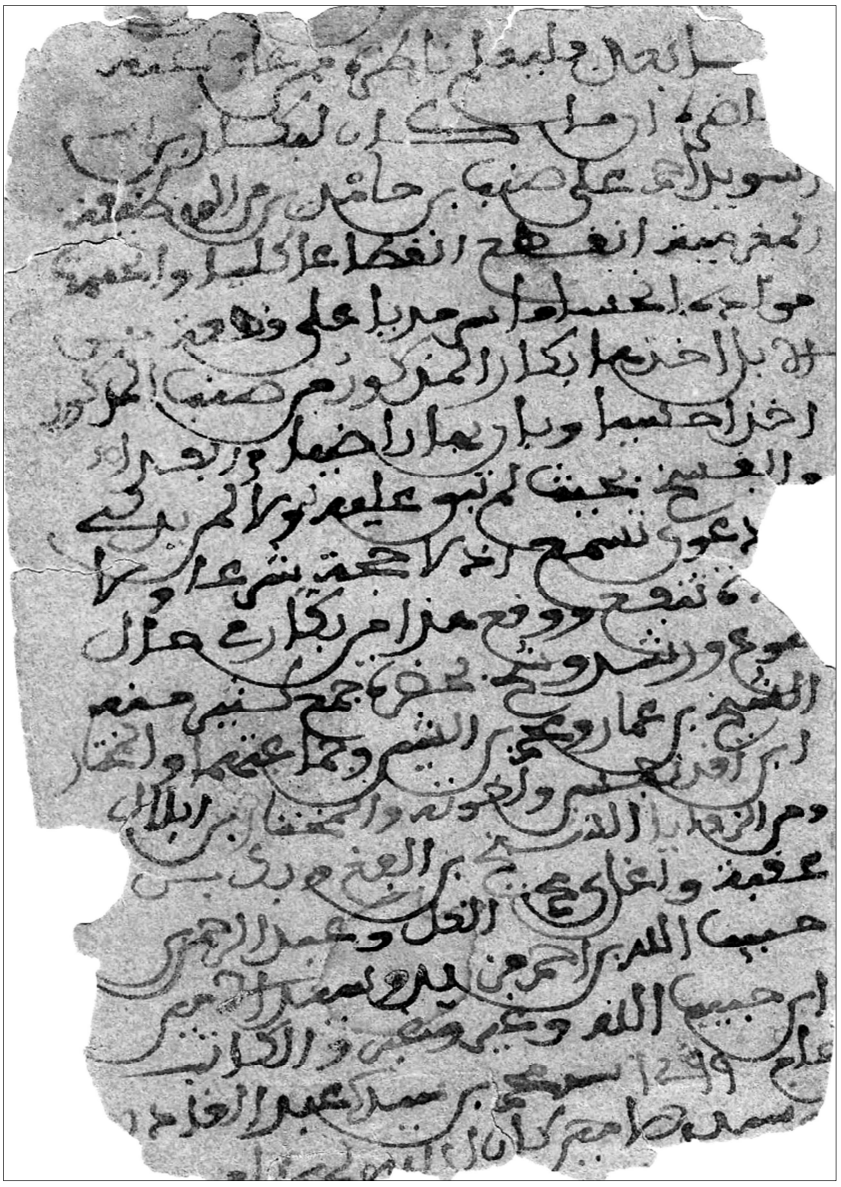

أما بعد، فليعلمْ ناظرُه، ممنْ غابَ عنْهُ أوْ كانَ حاضرَه، أنَّ ما كانَ لبكَّار بن اسويد احمد على صنْبَ بن حامدين من الوَظِيفَةِ المَغْرَمِيَّةِ انْقَطَعَ انْقِطَاعًا كليا، وانْحَسَمَتْ مَوَادُّه انْحِساما سرْمَدِيا، على قطْعَةٍ من الإبِلِ أخَذَهَا بَكَّار المَذْكُورُ من صنْبَ المَذْكُور أخْذا حِسِّيا، وبانَ بها راضيا الفِدَاءَ والفَسْخَ، بحيث لمْ تبْقَ عليْهِ لهُ، ولا لمنْ يُدْلِي إليْه دَعْوَىٰ تُسْمَع، إذ لا حُجَّةَ شرْعا ولا عادةً تنْفَع، ووقعَ هذا من بَكَّار، في حالِ الطوْع ورُشْدٍ وشُحٍّ، بحضْرةِ جمْعٍ كثيرٍ؛ منْه: الشيخ بن عمَّار، ومحمد بن الشيْن، وجماعتُهما، والمُختار بن.... وإخْوتُه، والمختار بن ابْلال، ومنَ الزّوايا: الشيخ بن الفغَ أوْبك بن عقبة، واعْلِ بنْ محمد لَعْلِ، وعبد الرحمن بن حبيب الله بن أحمد مَزيد، وسيد الأمين بن حبيب الله، وغيرُ، وغيرُ، والكاتبُ: سيد محمد بن سَيِّدِهِ: عبد القادر بن سيد الأمين، كان الله لهما، آمين.

6- حكم قضائي له، وبخطه

ص 1

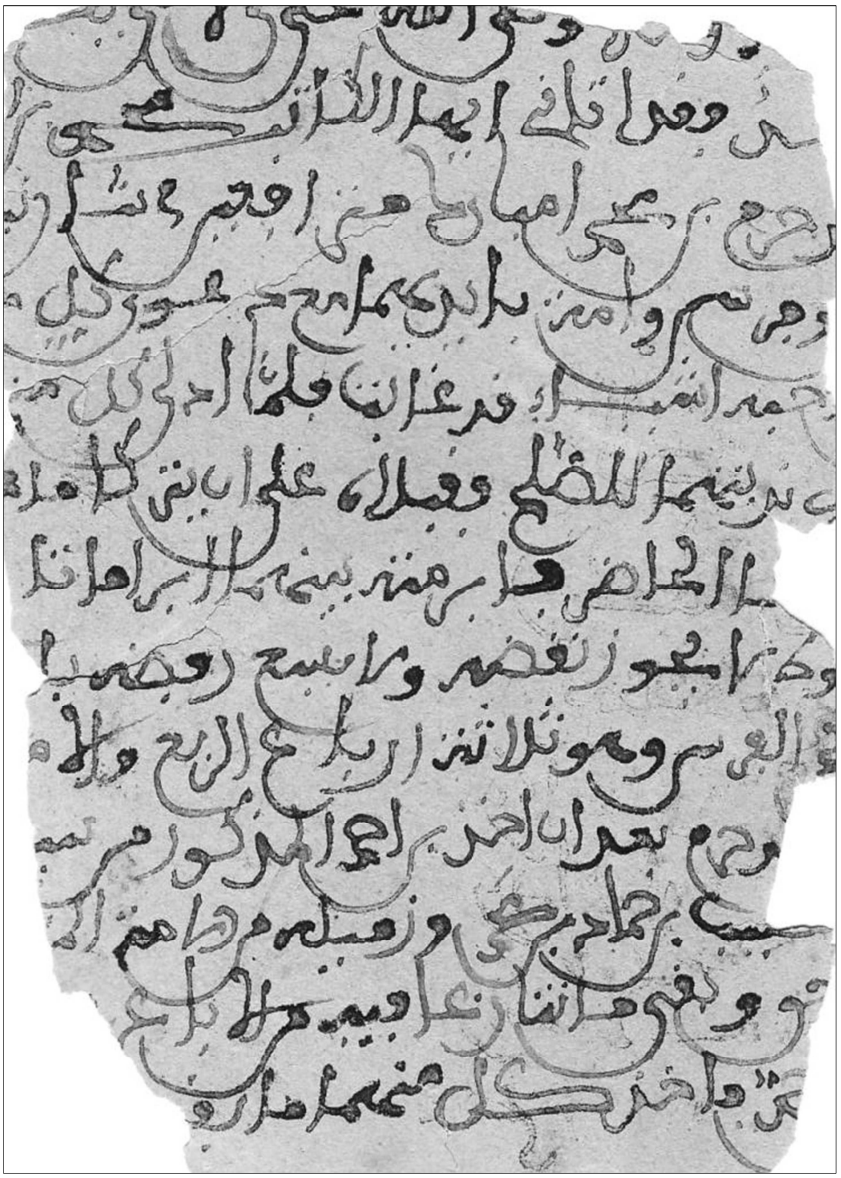

ص 2

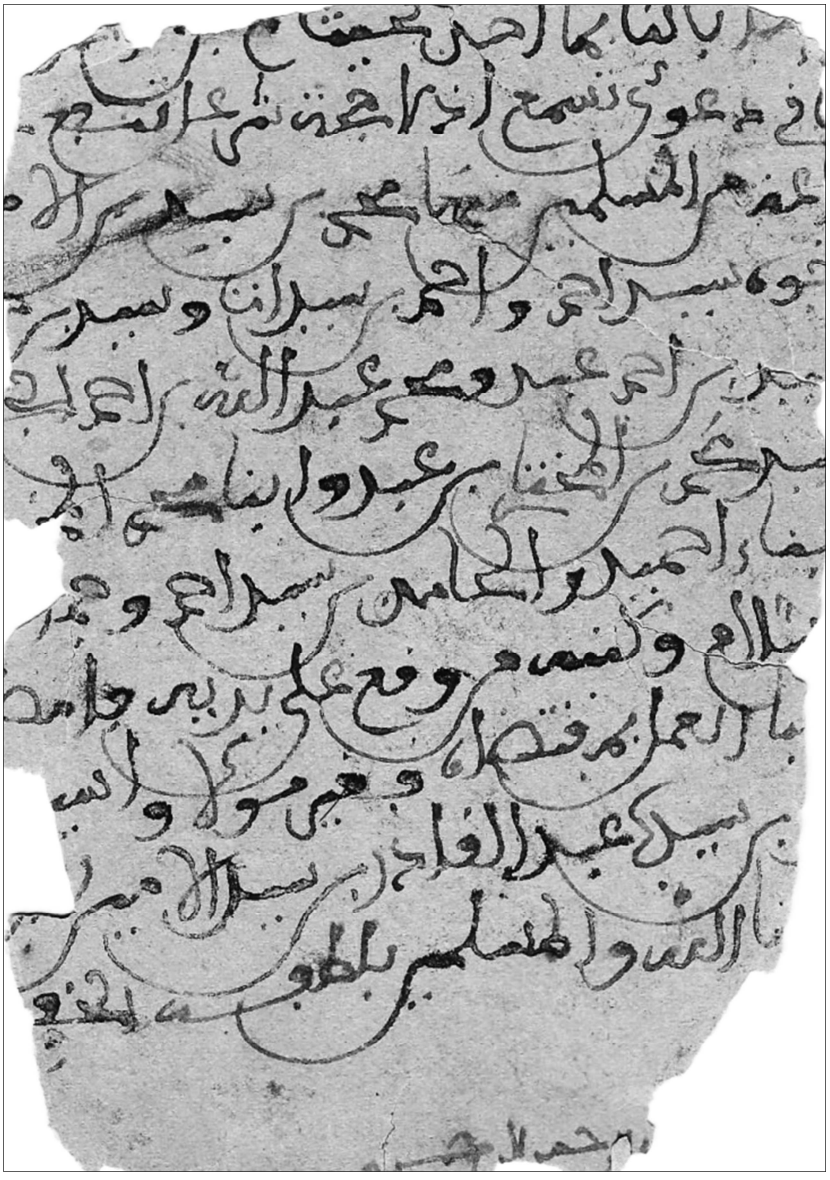

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده

أما بعْد، فقد أتاني – أيُّها الكاتب– محمد بن أحـمد، وحُرَمَ بن محمد امبارك مُتَرَافِعَيْنِ في شأن أباعرَ وفرَس و"..."[1] بأيديهما، مع دعْوى كلٍّ منْهما على صاحبِه أشياءَ قد غابت، فلمَّا أدْلى كلٌّ منْهما بدعْواه، ندَبْتُهما للصُّلْح فقبِلاهُ، على أنْ يَتْرُكا ما غابَ... الحاضر فأبْرَمْتُه بيْنهما إبْرَامًا تامَّ الشُّرُوطِ، لا يَجوزُ نقْضُه، ولا يَسَعُ رَفْضُه.... الفرس وهو ثلاثة أرباع الربع، و "..." ... وحُرَمَ، بعْد أنْ أخَذ بن أحمد المَذْكور من سيـ..... حبيب بن حماد بن محمد وزميله "...". وبَقِيَ ما تنَازَعا فيه من الأباعرِ .... أحْمد فأخَذَ كلٌّ منْهما ما بقِي.... بائنًا بما أخَذَ بحيث لم تبْقَ.... دعْوَى تُسْمَع، إذ لا حُجَّةَ شرْعا تَنْفَع... جَمَاعة من المُسلمينَ منْها: محمد بن سيد بن الأمين، وأخوه سيد أحمد، وأحمد بن سيداتٌ، وسيد بن.... وسيد بن أحمد عبد، ومحمد عبد الله ولد أحمد الجيد.... وسيد محمد بن المختار بن عبدي، وأبناء محمد المختار، وأبناء أحميدَ، والحامِد بن سيد أحمد، ومحمد.... والسلام.

وكتبَه مَن وقَعَ على يديْه فأمْضَاه... بالعمَلِ بمُقْتَضاه، فقيرُ موْلاه، وأسيرُ هواه، سيد محمد بن سيِّدِهِ عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفي، أمَّنَنا اللهُ والمسلمين بلُطْفِهِ الخَفِي.

[1]– نقاط الحذف هكذا"..."في موقعين، تمثل حذفا لصفة لم تعد لائقة في خطابنا اليوم، وهو تصرف مني ربما لا حق لي فيه.

حکم آخر:

ص 1

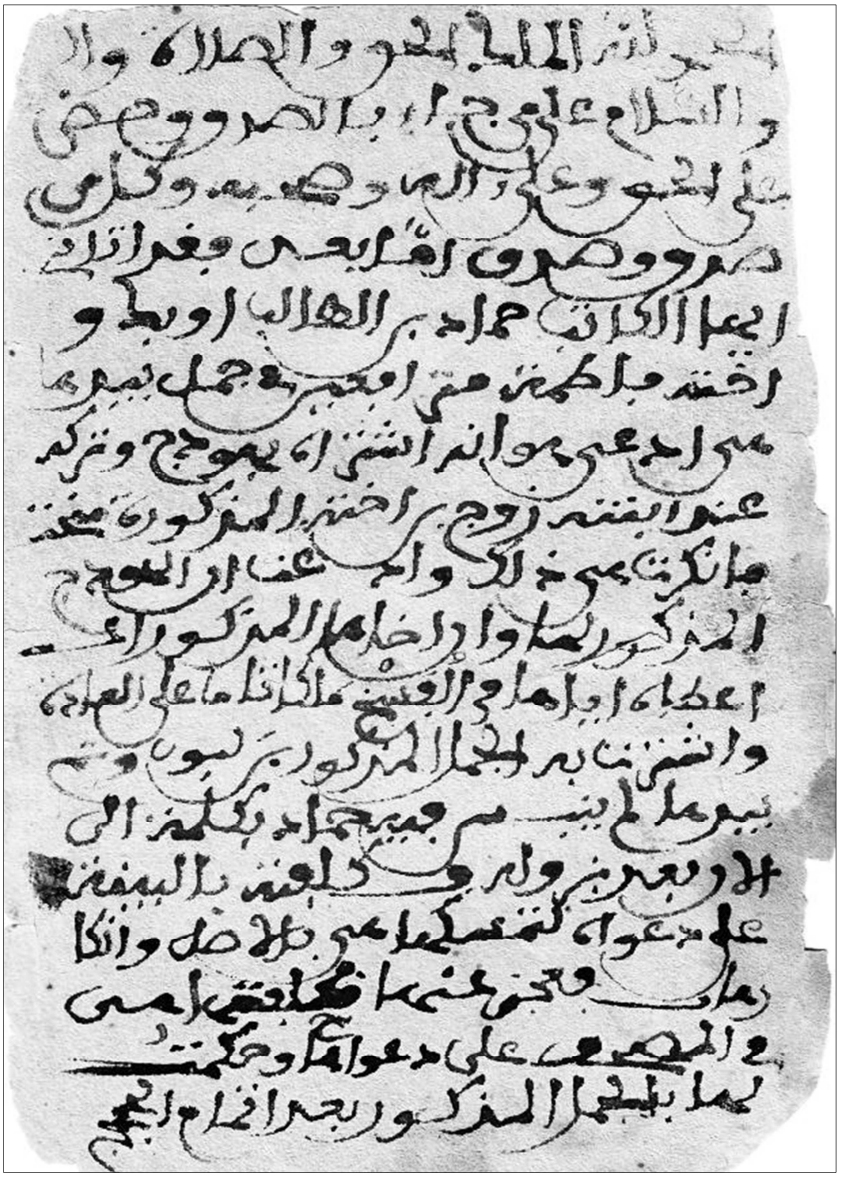

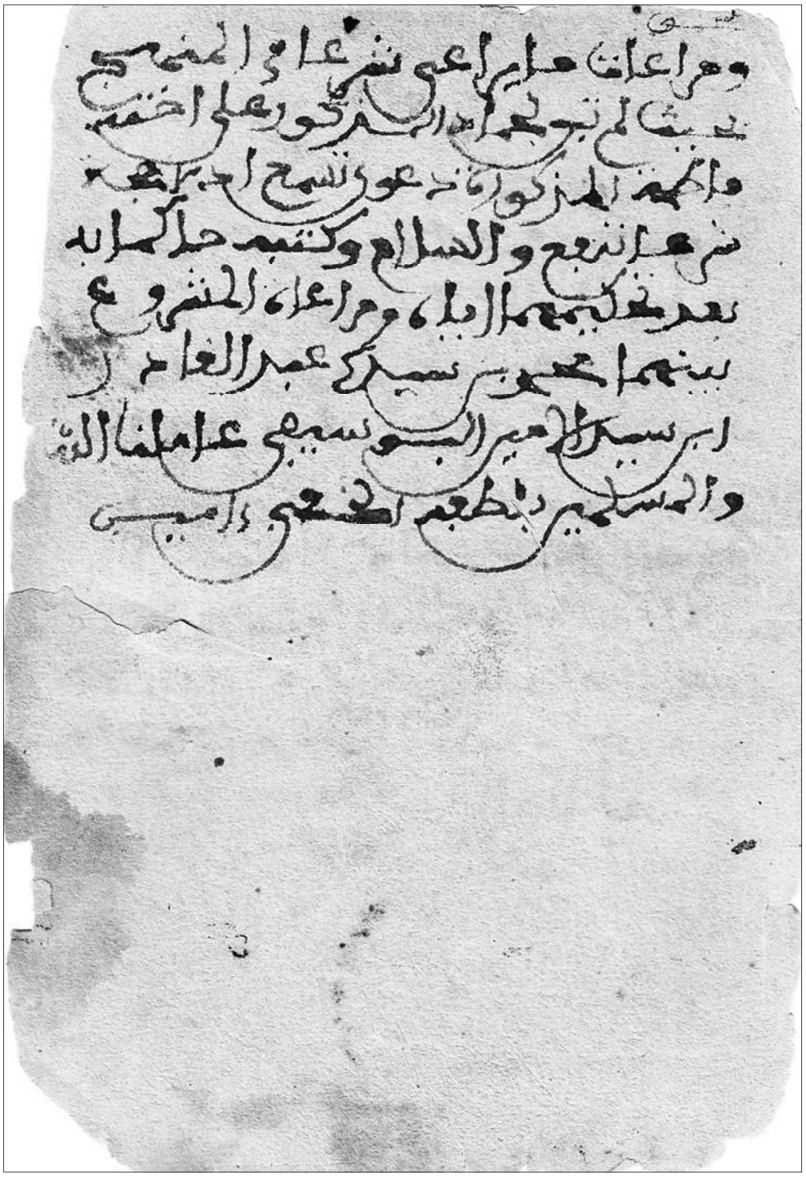

(ص1) أما بعد فقد أتاني- أيها الكاتب- حمَّاد بن الطالب أوبَك، وأُختُه فاطمة، مترافعيْن، في جمَلٍ بيَدِهَا هِي، ادَّعَىٰ هو أنَّه اشْتَرَاه بهوْدَجٍ، وترَكَهُ عنْدَ بنْتِه؛ زوْج ابن أُختِه المذكورة مِنْحَة، وأنكرتْ هيَ ذلك، وادَّعَتْ أنَّ الهوْدَجَ المَذْكورَ لها، وأنَّ أخاها المَذْكور أعْطَاهُ إيَّاهَا في الفسْخ، مُلْكًا تامًّا علىٰ العادَةِ، واشْتَرَتْ به الجَمَلَ المذْكورَ ابْنَ لَبُونٍ، وتمَّ بيَدِها لم يَنْبسْ فيه حمَّاد بكلِمَةٍ، إلىٰ الآنَ، بعْد بُزُولِه، فكَلَّفْتُه بالبَيِّنَةِ علىٰ دعْواه لتمَسُّكِها هي بالأصْل وإنْكارِها، فعَجَزَ عنْها، فحَلَّفْتُهَا هي في المصْحَفِ علىٰ دعْواها، وحكمْتُ لها بالجَمَلِ المَذْكور، بعْد إتْمامِ الحُجَج، (ص 2) ومُراعاةِ ما يُرَاعَىٰ شرْعا في المَنْهَج، بحيث لم تبق لحمَّاد المذكور- علىٰ أُختِه فاطمة المذكورة- دعْوَىٰ تُسْمَع، إذ لا حُجَّة شرْعا تَنْفَع.

وكتبَه، حاكمًا به - بعد تحْكِيمِهما إيَّاه، ومُراعاةِ المَشروع بيْنهما-: فقيرُ موْلاه، وأسيرُ هواهُ: سيد محمد بن سيده عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفىٰ، أمننا الله والمسلمين بلُطْفِه الخَفِي.

حكم آخر:

الحمد لله وحده وصلىٰ الله علىٰ من لا نبي بعده

أما بعد؛ فقد أتاني - أيها الكاتب- سيد... التركزي وصالح بن عوان الزخيمي، في بَكْرة بيدِ الأوَّل، ادَّعىٰ أنَّها له، وأنَّها صـ... وادَّعىٰ الثاني أنّه اشْتَرَاها قبْل أنْ..... الثاني فكلَّفْتُهما بالبَيِّنَةِ علىٰ دعْواهُما؛ فادَّعىٰ سيد غيْبَة الشهود، فأجَّلْتُه ستة أيام.... في الأجَل بشهود، ومعه المختار بن اسويد أحمد، والخصْم -إذ ذاك- غائبٌ، والبَكرة المُتنازَع فيها غائبةٌ، وليْس ثمَّ مَنْ يَعْرِفُها، فأمَرْتُه بإحْضار البَكْرَةِ؛ ليَشْهَدَ الشهودُ علىٰ عيْنِها، فسارَ من عندي، ولم يأتني، فلمَّا مضتْ مُدَّةٌ، ولم يأتني، أعْذَرْتُ إليه بالإرسال إليه، فلمَّا أتىٰ الرُّسُلُ من عنده، ولم يأتِ بشَيْءٍ، ولم يَأتِ بنفْسِه مُعْتذِرا، تَبيَّنَ لِي لدَدُهُ وإبْطالُه حقّ خصْمِه، فلمَّا مضتْ أرْبَعَةُ أيَّام، أو خمْسةٍ، بعْد مَجيء الرُّسُل المَذْكورين إعْذارًا منِّىٰ، ولم يَأْتِ من جِهَتِه شيْءٌ.... المذكور في المُصْحف يَمِينَ الاسْتحْقَاقِ.... ببكْرَتِه كما اقْتضىٰ الشرْعُ العزيز.... في

الخِصَام، وانْتهجَ نهْجَ الفرار بعد إتمام.... هذا الحكم عليه الحكم قطْعًا لكلِّ ما به يُخْتَصَم....

وكتبَه، حاكِمًا به، بعْد التراَّضي والتحْكيم... المشروع، فقيرُ مولاهُ، وأسيرُ هواه: محمد بن سيِّدِه عبد القادر بن سيد الأمين البوسيفى، أمَّنَنا اللهُ والمُسلمين بلُطْفِه الخَفِي.

المؤلف في سطور

أدي ولد آدب –شاعر– وباحث موريتاني (دكتوراه في اللغة العربية والأدب).
له حوالي عشر مجموعات شعرية، نشرت منها وزارة الثقافة الجزائرية 2009م، ديواني:

1– **رحلة بين الحاء والباء.**

2– **تأبط أوراقا.**

3– **بصمة روحي**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2018.

ونشرت له بحوث ومقالات، كما نشرت له كتب:

1–"**الإيقاع في المقامات اللزومية للسرقسطي**"، نشرته دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة، 2006م.

2–"**المفاضلات في الأدب الأندلسي/ الذهنية والأنساق**"، نشر 2015 من قبل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بالدوحة.

3– **تأويل رؤياي: أطروحات صغيرة في الأدب والثقافة**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2019م، (يضم حوالي 150 مقالا).

وأخيرا سلسلة: "**أدبيات أهل آدب**":

1– **أهل آدب: سلالة الشعر وبيت القصيد**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

2– **المقاومة الأخلاقية في أدبيات أهل آدب**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

3– **سيدي ولد آدب: رمز الفتى الكنتي، فارس المدفع والقلم**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

4– **الشيخ أحمد بن آدب: شيخ المشايخ وقطب الشعراء**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط1، 2020.

5- **خديجة "دَيَّه" بنت سيدي بن آدب: خنساء شنقيط**، مؤسسة آفاق، مراكش، ط 1، 2020.

وفي الأفق سلاسل أخرى، إن شاء الله.